

شاهد على اعتقالات الإسلاميين بالجزائر
الصغير منير

بؤس العالم
يسرا جلال

مذكرات رفاعي طه (٣)
محمد إلهامي

آية الله داريّا
كرم الحفيان

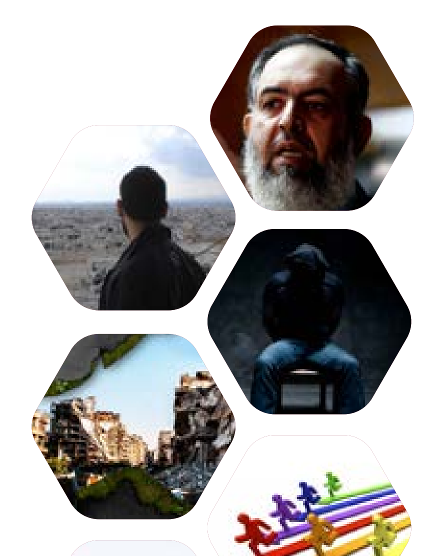
وغيرها من المقالات ..

محتويات العدد

الحادي عشر ، يونيه 2018



klmtuhaq
www.klmtuhaq.blog
دورية ثقافية معرفية
نخبة من الكتاب والمفكرين

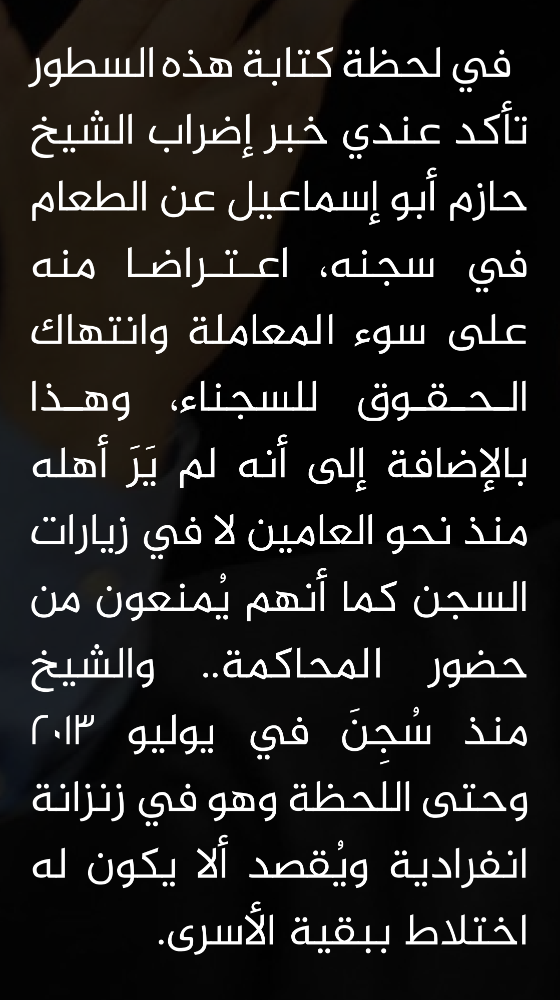


المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
معتز زاهر

الافتتاحية ..
حازم صلاح أبو إسماعيل

محمد إلهامي





في لحظة كتابة هذه السطور تأكد عندي خبر إضراب الشيخ حازم أبو إسماعيل عن الطعام في سجنه، اعتراضا منه على سوء المعاملة وانتهاك الحقوق للسجناء، وهذا بالإضافة إلى أنه لم يَرَ أهله منذ نحو العامين لا في زيارات السجن كما أنهم يُمنعون من حضور المحاكمة.. والشيخ منذ سُجِنَ في يوليو ٢٠١٣ وحتى اللحظة وهو في زنزانة انفرادية ويُقصد ألا يكون له اختلاط ببقية الأسرى.

الكلام عن الشيخ حازم يطول ويطول، والذكريات والتأملات في مواقفه لا تنتهي، فلقد كان بغير منافس أقوى شخصية سياسية وإسلامية في مصر كلها ولا أعرف له شبيها في العالم العربي والإسلامي أيضا، والذي ما كان ليقف أمامه أحد ولا لينافسه أحد إن وصل إلى الانتخابات، فلم يكن في مصر استطلاع رأي شبه نزيه إلا ويكشف عن الاكتساح الكامل للشيخ حازم وبفارق واسع عن أقرب منافس.

حازم أبو إسماعيل كان حجة الله على الإسلاميين جميعا، فيه التزام وانضباط وهدي ظاهر هو حجة على السلفيين، وفيه هدوء وعقل وسياسة وإقناع وأسلوب دعوي هو حجة على الإخوان، وفيه ثورية ومفاصلة وجرأة هي حجة على الجهاديين، وفيه أخلاق ورحمة وخفض جناح ولين هو حجة على المتصوفة والتبليغيين.. لم ير الناس مثله، ولم ير هو مثل نفسه.

وكنت قبل خمس سنوات (بالتحديد: ١٧ مايو ٢٠١٣ م) وقبل وقوع الانقلاب العسكري قد كتبت فيه مقالا، رأيت الآن أنه من المفيد إعادة نشره تذكيرا بملخص سيرة الرجل:



حازم أبو إسماعيل .. فَصْلٌ في التجرد

ليشهد الناس أن الشيخ حازم أبو إسماعيل كان أبعد الناس -في كل الفترة الماضية- عن محاولة صناعة مجد شخصي له، وأنه كان الحاضر في المغرم والمتعفف المبتعد عند المغنم، وأن السهام التي أصابته قد أصابته من الجميع حتى من يُتَّهَم بأنه منهم ويعمل لمصلحتهم، وأن بعض ما نزل به جاءه من مأمنه.. وهذه بعض مشاهد مما يعرفها الجميع، ثم تبقى المشاهد الكبرى إلى حين يأتي وقتها لتكتب في صفحة التاريخ.

١ كان الشيخ حازم من الوجوه الرئيسية في ميدان التحرير ومنذ اليوم الأول، لكنه عزف عن الظهور الإعلامي قبل وبعد تنحي المخلوع حتى أن أغلب أنصاره وتابعيه الذين تعرفوا عليه فيما بعد اكتشفوا أنه ذلك الذي كان يخطب على منصة التحرير ولم يكونوا يعرفون اسمه.

٢ ولم يظهر الشيخ حازم إعلاميا ولم يخرج على الساحة إلا حين فشلت كل مساعيه في إقناع الكيانات الإسلامية بالترشح للرئاسة التي أصرت في ذلك الوقت على أن الإسلاميين لا يصلحون لهذه المرحلة، وكانوا يبحثون عن "الرئيس التوافقي"!

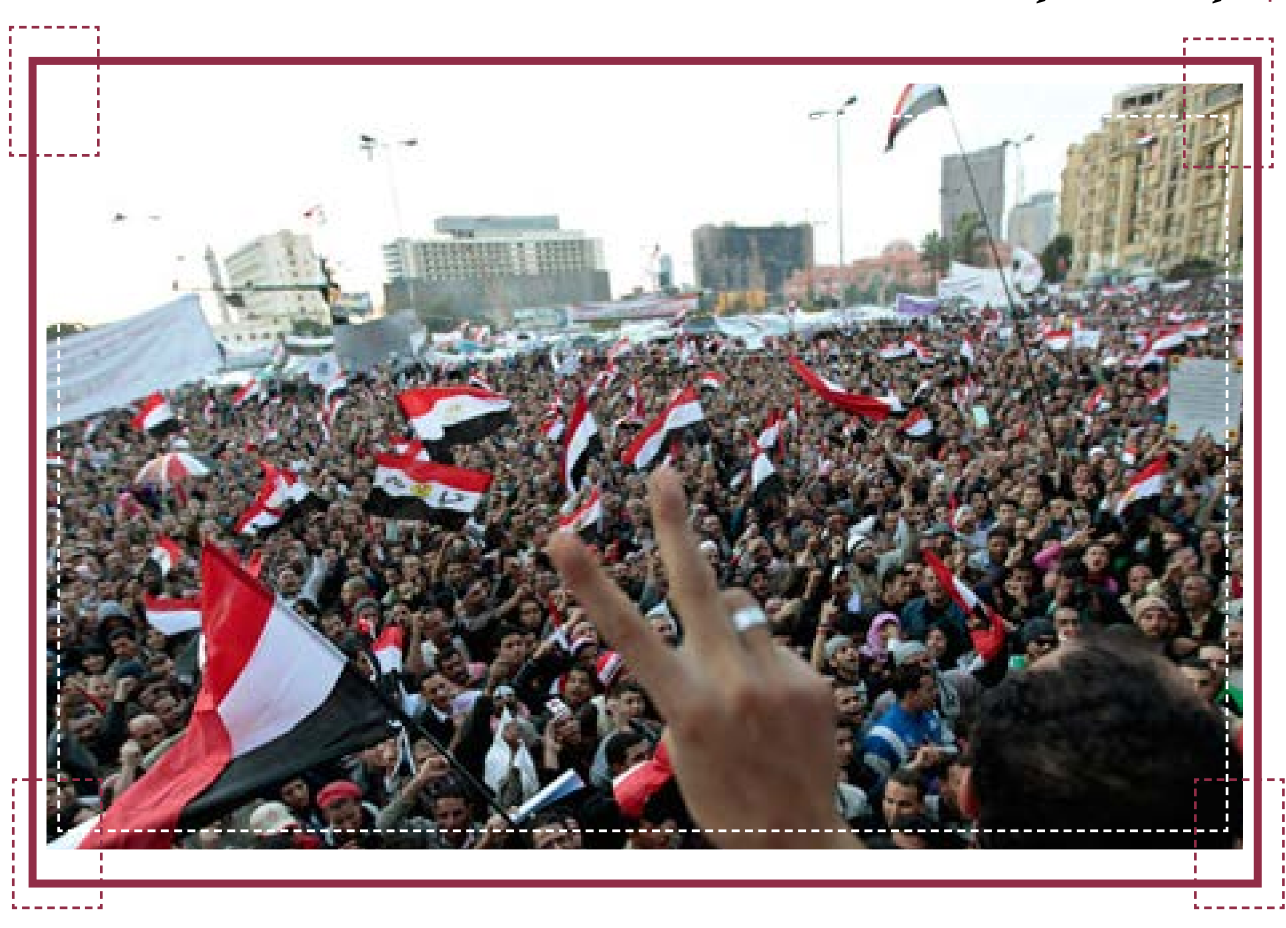
٣ وحين كانت كل الكيانات (إسلامية وغير إسلامية) تلين مع المجلس العسكري كان الشيخ حازم هو الوحيد الذي كشف تلاعبهم بالثورة ومحاولات ترويضهم للشعب وقال كلمته المشهورة التي ارتاع لها الجميع "هؤلاء ذئاب وثعالب"، ورغم علمه أن أحدا لن يدعمه في موقف كهذا إلا أنه نطق به، وأثبتت الأيام صحة رؤيته.

٤ وحين خفت صوت الثورة، وظهر التراخي في تسليم السلطة، خرج الشيخ حازم وحيدا في جمعة ٢٨ أكتوبر ثم في ١٨ نوفمبر لتكون جمعة "المطلب الوحيد.. تسليم السلطة"، وهي الجمعة التي تلتها أحداث محمد محمود والتي لم ينزل فيها من الإسلاميين إلا الشيخ حازم وأنصاره، وبه وبأنصاره فشلت فكرة المجلس الرئاسي المدني وأُجْبِر المجلس العسكري على تحديد موعد الانتخابات الرئاسية (بعد أن توافقت كل الأحزاب -إسلامية وغير إسلامية- على تأجيلها إلى منتصف ٢٠١٣ بحد أدنى وكتابة الدستور تحت حكم العسكر).. وبهاتين الجمعتين وأحداث محمد محمود عاد صوت الثورة عاليا بعدما ظن الجميع أنه إلى زوال.

٥ هذا الرجل الذي وضع جهوده لاستكمال مسار الثورة والحفاظ على المسار السياسي الذي اختاره الشعب لم يحاول أن يصنع لنفسه حزبا أو أن يدخل في تحالف في الانتخابات البرلمانية، وفضَّل أن يقف وراء الكيانات الإسلامية القائمة وأن يدعمها بكل قوته، وقد كان، ثم تعهدها بالنصيحة التي كان أهمها وأشهرها: سرعة إصدار قانون السلطة القضائية، لكن الجميع كان يراه مندفعا وكان يحسب أن الأمر ليس بهذه الخطورة حتى أثبتت الأيام من الذي كان على بصيرة.

٦ لقد كان وجود الشيخ حازم وأنصاره في المواطن الثورية مما رفع عن الإسلاميين أخطاء الكيانات الإسلامية التي شملها الخوف والحذر والحرص حتى ابتعدت بنفسها عن كل موطن شرف خشية أن يكون فخا منصوبا، لقد كان وجوده مما عصم شباب الإسلاميين من فتنة هائلة في مشايخهم ورموزهم، وهي فتنة الله أعلم كيف كان سيكون اتساعها إذا خلت الصورة من إسلامي ثائر في لحظة ثورية!!

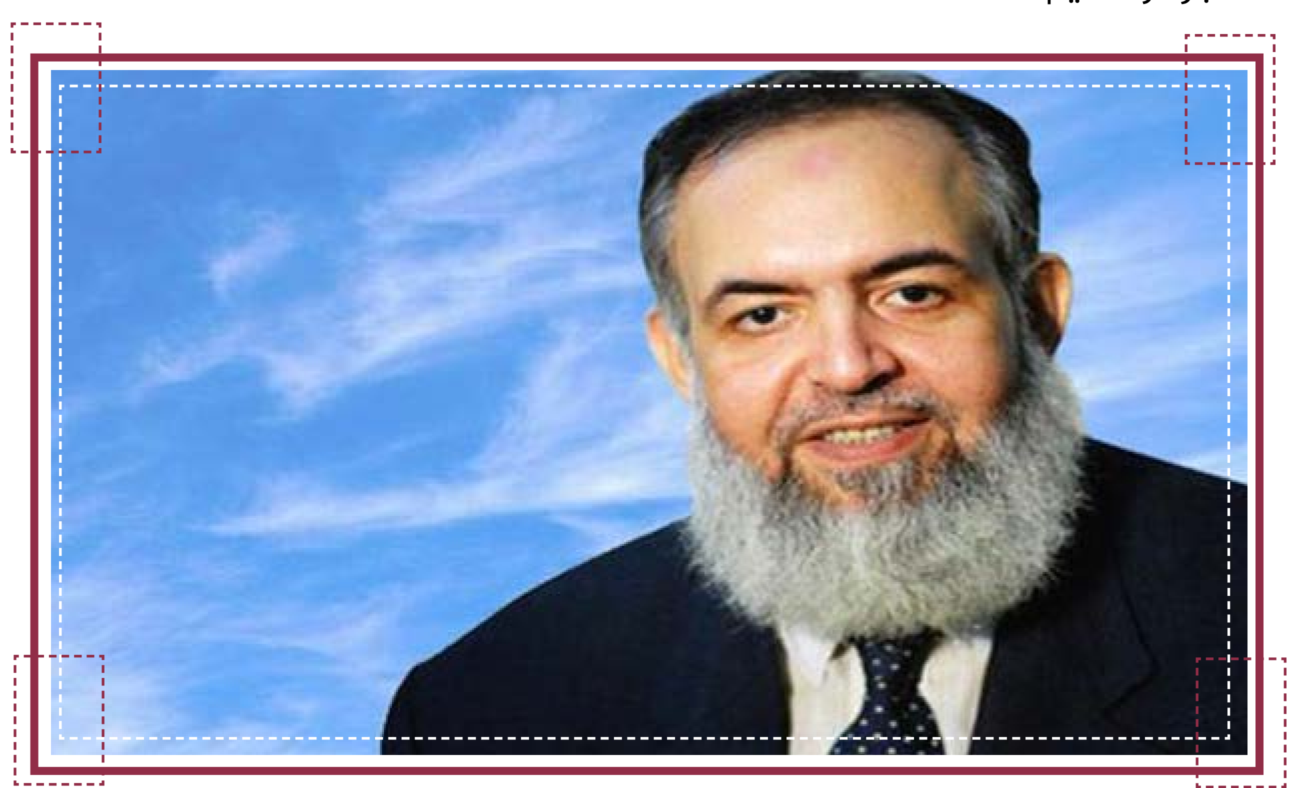
٧ ونجحت تجربة الشيخ حازم في الرئاسة كما لم يتوقع أحد، لا الكيانات الإسلامية ولا غيرها، وكانت حملته هي الأضخم على الإطلاق، وحقق الشيخ في كل استطلاعات الرأي المركز الأول وبفارق كبير عمن بعده.. وهي التجربة التي لم يدعمه فيها أحد من الكيانات الإسلامية بل إنهم حاربوها لكثرة ما اجتذبت من شبابهم.



٨ بل لقد تحرك كيان إسلامي ليضغط على آخر ليرشح مرشحا للرئاسة (من بعد ما رضي الجميع بعدم صلاحية الإسلامي للرئاسة، ومن بعد ما فشلوا في إيجاد الرئيس التوافقي) واستجاب الآخرون (رغم إصرارهم السابق على عدم الترشح للرئاسة)، ولم يتكلم الشيخ حازم في حق أحدهم بسوء رغم أن هذا مما يضر به على مستوى الحملة الانتخابية بشدة.

٩ ثم أخرج الفاسدون تمثيلية "جنسية والدة الشيخ حازم"، وهي المؤامرة التي ما كان لها أن تنجح لولا سكوت -بل ومشاركة- بعض الكيانات الإسلامية في بعض فصولها -وهذه أمور قد نكشفها فيما بعد- لم يجد الشيخ دعما منهم، رغم أنه الذي مهد الطريق لفكرة المرشح الإسلامي. وظهرت أول مفسدة لعدم صدور قانون السلطة القضائية، فبذلك استبعد أقوى المرشحين الإسلاميين وبقي في المنافسة رجال النظام القديم، في إعلان صريح بأن ما فشل فيه مبارك والعسكر نجح فيه القضاة الفاسدون.

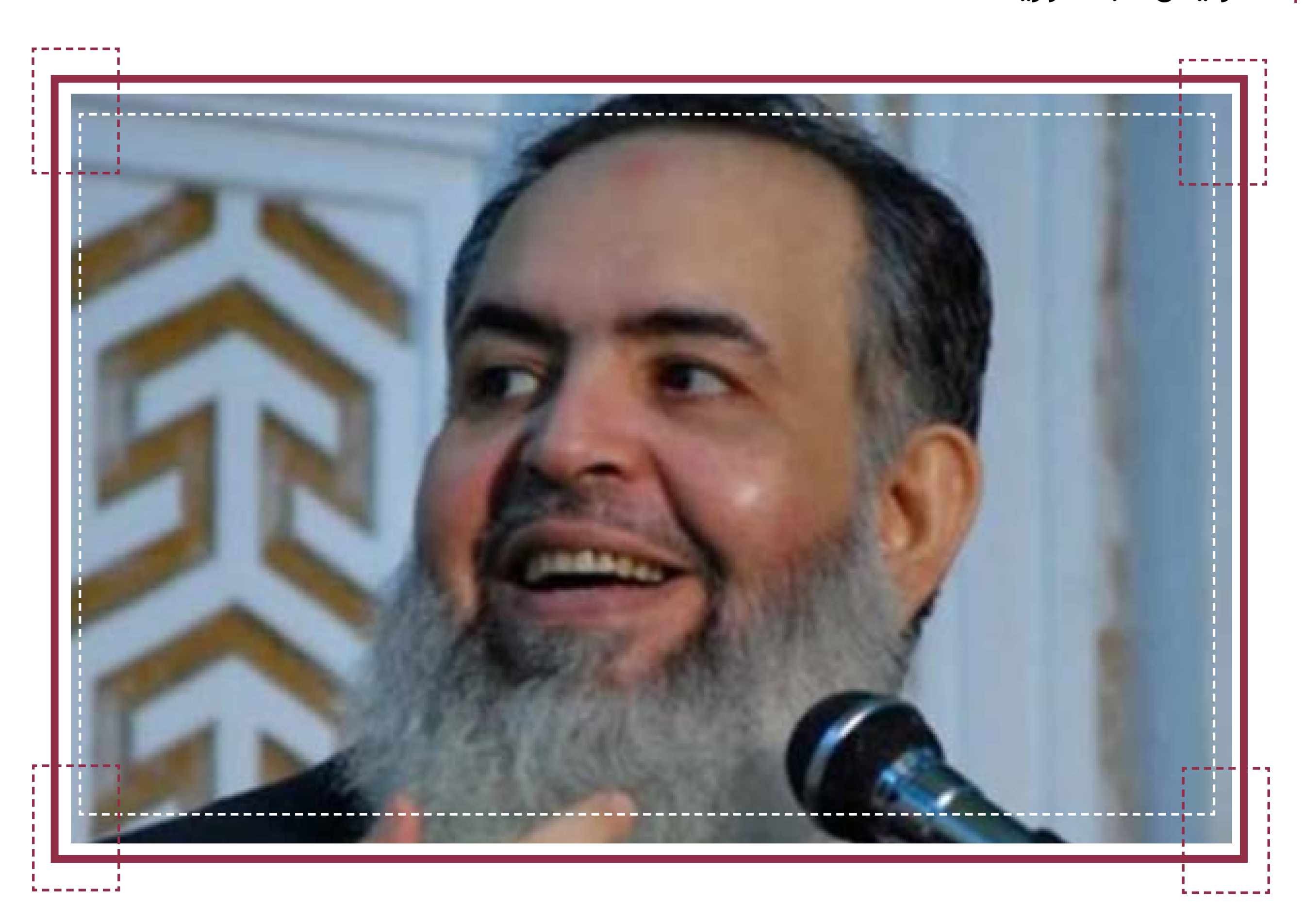
١٠ وحين حصل الشيخ حازم على حكم قضائي بأحقيته في خوض انتخابات الرئاسة ولم ينفذ، أوشك حكم آخر أن يصدر بوقف انتخابات الرئاسة (وهو الشق المستعجل من الدعوى) لكن الشيخ سارع بالتنازل عن الشق المستعجل لكي لا تقف انتخابات الرئاسة ولكي ينتقل الحكم إلى السلطة المنتخبة بأسرع وقت.. وهذا وحده موقف عظيم في التجرد وتقديم المصلحة العامة.



١١ ودعم الشيخ حازم من تبقى من المرشحين الإسلاميين بكل ما يملك، وكان أنصاره من أقوى الفاعلين ضد مرشح النظام السابق ودعما وتأييدا للمرشح الإسلامي الباقي الذي صار بعدئذ رئيسا للجمهورية!

١٢ واعتصم الشيخ حازم في الميدان اعتراضا على الإعلان الدستوري الذي أصدره العسكر قبيل أيام من تسليم السلطة، وظل معتصما هو وأنصاره أكثر من شهر، حتى صاروا وحدهم بل لقد انصرف مؤيدوا الرئيس أنفسهم، فلا استأذنه أحدهم ولا شاوره أحدهم، رغم أنه لا يدافع عن مصلحته الشخصية.

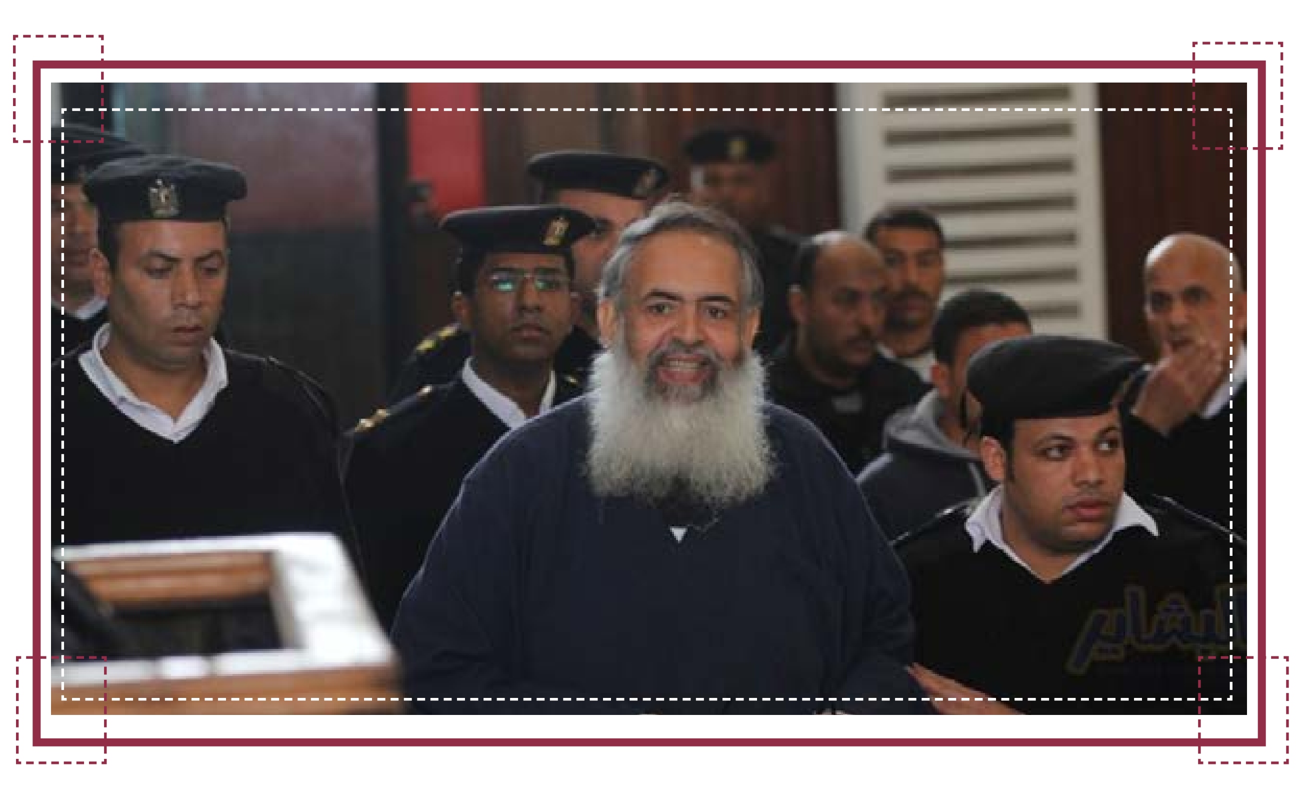
١٣ ورغم أن الشيخ حازم لم يحصل على منصب بل ولا على شكر إلا أنه كان حاضرا في كل موطن دعما للسلطة المدنية المنتخبة ضد النظام القديم، فكان من أوائل الواقفين على باب دار القضاء العالي مؤيدا للإعلان الدستوري الذي يعزل النائب العام ويحصن مجلس الشورى والجمعية التأسيسية.. ثم كانت وقفته الكبرى أمام مدينة الإنتاج الإعلامي والتي غيرت ميزان القوى في تلك اللحظة الحرجة بما أفشل مخطط الفاسدين وأنقذ سلطة رئيس الجمهورية!



١٤ ورغم التجارب المتعددة والمواقف المتكررة إلا أن الكيانات الإسلامية لم تغير منهجها الذي ينقل الإسلاميين من هوان إلى هوان ومن نزول إلى نزول، فساعتها ومع فشل كل النصائح والرسائل فكر الشيخ حازم في تكوين حزب ليؤسس للكيان الإسلامي الثوري البصير بالواقع ليترجم فكرته ومنهجه إلى عمل منظم واسع.

١٥ أيا كان موقفك أيها القارئ، إسلامي أو غير إسلامي، وأيا كان اتفاقك أو اختلافك مع كل ما سبق، فأحسب أنك لن تجادل في أن كل ما فعله حازم أبو إسماعيل لم يعد عليه بفائدة شخصية، بل كان خدمة لمبادئه ومنهجه ومواقفه حتى لو اختلفت معها.

في النهاية، فإن هذه مجرد فصول، وهي معروفة للجميع، ولم نكشف عن بعض ما في الكواليس من أحداث.. وهي فصول في التجرد للمبدأ وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.



ولهذا يظل الشيخ حازم نموذجا فريدا في مصر، بل نحن نسأل: دلونا على رجل كانت له مثل هذه المواقف التي إن نجحت عاد النفع على غيره وإن فشلت فإن بعضها كان سيدفع الثمن فيها وحده.

...

اللهم نسألك فرجا قريبا للشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل وسائر الأسرى في مصر وفي كل مكان.

آية الله داريّا:
ذروة السَّنام في ثورة الشام

كرم الحفيان



المقدمة

إن كنت على بعد كيلومترات معدودة من القصر الجمهوري في قلب العاصمة دمشق، ويحوطك طوقٌ محكم من جيش النظام، جُلّهم من القوات الخاصة والنُخب العسكرية (الفرقة الرابعة والحرس الجمهوري) مدعومةٍ بحشود من مقاتلي حزب الله اللبناني، والجميع يستميت في قتلك، وتسجل أرقام قياسية جديدة غير مسبوقة من آلاف البراميل والصواريخ المتفجرة المتساقطة من فوقك، ويتزامن ذلك كله مع حصار مطبق وحرب أمعاء وشُح دواء لا تقل عنفاً وضراوةً، ولا ترحم صغيراً ولا كبيراً، وليس لك من أداةٍ للمواجهة بعد عون الله -عز وجل- إلا سلاحاً فردياً خفيفاً وبعض السلاح المتوسط في ظل غياب تام للأسلحة الثقيلة خلا دبابة يتيمة، ثم تثبت على هذا الحال أربع سنوات متتالية، فاعلم أنك في حضرة داريّا [1] ، "عاصمة البراميل" و "مقبرة الدبابات" و "أيقونة الثورة".

داريا: أيقونة الثورة السورية

أبهرت داريا (المدينة التاريخية العريقة، عاصمة الغوطة الغربية لدمشق) جميع الثوار ليس فقط بصمودها العسكري وإنما بتماسكها الاجتماعي وحسن تدبير إدارتها المحلية، مما جعلها قدوةً عمليةً ونموذجاً ملهماً للمدن والقرى الثائرة كافة في الثورة السورية وغيرها [٢].



أرّقت داريا النظام، وجعلته يصب جامَ غضبه وحقده على المدينة [٣]، فلا شيء يهدده أكثر من تجربة ناجحة متكاملة تتناغم وتتكامل فيها مكونات الثورة الثلاثة: الفصائل العسكرية، والإدارة المدنية، والمجتمع الثوري في منطقة شديدة القرب من العاصمة دمشق، ذلك لأنها إن استُنسخت وعُمّمت على المناطق الثائرة الأخرى فإنها ستُشكِّل تهديداً وجودياً للسلطة الحاكمة في دمشق.

بدايةً خَصَّص النظام لداريا النصيب الأكبر من براميله المتفجرة مما دعا الأمم المتحدة لإعلانها العاصمة السورية للبراميل المتفجرة [٤]، إضافة إلى استهدافها بالكيماوي والنابالم الحارق مرات عديدة [٥] وارتكاب مجزرة مروعة بها استغرقت ثمانية أيام ذبحاً بالسكاكين، وراح ضحيتها أكثر من ٧٠٠ شهيد أغلبهم نساء وأطفال !، مما أدى لنزوح أغلب سكان المدينة لمناطق أكثر أمناً نهاية ٢٠١٢ .

---

(١) انظر: الجزيرة نت، ثورة داريا السورية ومأساتها، أحداث وأرقام.

(٢) انظر: أورينت نت- رامي زين الدين، (داريا صمود الثورة) إرادة الحياة تتحدى الأسد وتنتصر، ٢٠ نوفمبر ٢٠١٤ م.

(٣) للمزيد: المكتب الإعلامي للمجلس المحلي لمدينة داريا، فيلم لحن الكفاح، الدقيقة ٢، ٢٥ سبتمبر ٢٠١٥ م.

(٤) انظر: الجزيرة نت، الأمم المتحدة: داريا عاصمة البراميل المتفجرة بسورية، ٢٤ يونيو ٢٠١٦ م.

تراوحت الإحصائيات لمجموع عدد البراميل التي ألقيت على داريا بين ٦,٠٠٠ و ١٠,٠٠٠ .

(٥) للمزيد: حلب اليوم، داريا بين عاصمة البراميل وعاصمة النابلم، ١٧ أغسطس ٢٠١٦ .

ولأنها الأقدم حصاراً فقد تضاعفت معاناة أهلها وثوارها بسبب نقص الغذاء الضروري لمواصلة القتال وانتهاء صلاحية الدواء وندرة الكوادر الطبية في ظل وجود مشفى ميداني واحد فقط. ناهيك عن عدم توفُّر مضادات الدروع الفعّالة في التصدي لحملات النظام المصحوبة بمئات الآليات الثقيلة.

"بيد أن ذلك كله لم يمنع داريّا الأسطورة من أن تكون"الثَقب الأسود" و"مثلث برمودا" للنظام وترسانته العسكرية قاتلة وملتهمةً ومدمرةً في ألف يومٍ من الحصار ما مجموعه: ٥٠٠٠ رجل ٦٠ دبابة و ٦٧ دبابة معطوبة، ومغتنمةً دبابة واحدة [٦]"



قائد لواء شهداء الإسلام النقيب سعيد نقرش (يمين)، والقائد العسكري للواء أبو جعفر الحمصي (يسار)، منطقة الجمعيات بداريا بعد تحريرها، 5 أغسطس ٢٠١٥ م.

الدبابة اليتيمة من نوع (T27) كانت آلةً عجيبة بحق، مِلؤها البركة، فرغم عَرَجِها الطارئ في أثناء الاستيلاء عليها بفقدان أحد عجلاتها، ومع تعطل الكثير من ميزاتها الفنية، وكانت بالسنة الأخيرة تعمل بمواد بلاستيكية عوضاً عن الوقود المفقود في المدينة، إلا أنها خاضت خلال أربع سنوات أكثر من ١٢ معركة، تعرضت خلالها لأكثر من ١٤ قذيفة، وظلت صامدة في الميدان إلى أن سقطت المدينة وهجرها أهلها مع نهاية ٢٠١٦ م عقب تدمير ما يقارب ٨٠ % من بِناها التحتية، فتم إعطابها كي لا يستفيد النظام منها [٧].

(٦) انظر: أورينت نت-عمر الخطيب، داريا في ألفية الحصار، ٥ يوليو ٢٠١٥ م.
(٧) للمزيد: فارس الرفاعي، "دبابة داريا" حكاية صمود من "مقبرة دبابات الأسد"، زمان الوصل، ٢٤ أبريل ٢٠١٨ م.



« دبابة داريا (الوحيدة) مع الثوار خلال أربع سنوات »

والسؤال المهم هنا: كيف صمد ١٥٠٠ مجاهد من أبناء داريا بوجه كل هذه الأهوال؟ وما العوامل التي أدت لتماسكها وخوضها لهذه الملحمة العظيمة؟ والجواب كالتالي:

أولا : الشحن الديني الإيماني

» عند تأمل تجربة داريا لا يسعنا إلا أن نتذكّر كلاماً ساحراً للفيلسوف الإسلامي المجاهد رئيس البوسنة السابق علي عزت بيجوفتش حين قال: إن المجتمع العاجز عن التدين هو أيضاً عاجز عن الثورة، والبلاد التي تمارس الحماس الثوري تمارس نوعاً من المشاعر الدينية الحية، إن مشاعر الأخوة والتضامن والعدالة هي مشاعر دينية في صميم جوهرها، وإنما موجهة في ثورة لتحقيق العدالة والجنة على هذه الأرض [٨] .

لا أشك لوهلةٍ أن جميع من انخرط في الثورات العربية شعر بهذه الأحاسيس الجياشة في نفسه، ورآها بعيني رأسه في ميادين الحرية وساحات القتال والجهاد، وكما أن الثبات الثوري مرتبطٌ باستمرار الشحن الإيماني وبجودته، فإن الأجواء الثورية تَزيد الإنسانَ إيماناً وتعلقاً بربه.

ولنا فــي داريا وأهلها مثلاً مذهلاً فــي هذا الجانب، فالداريانيّون معروفون بالتدين والخُلق الحسن من قَبل الثورة، والثورة زادتهم إيماناً وأخرجت أفضل ما فيهم، فاشتَهر شبابُها بِرِقَّة قلوبهم وصفاء نفوسهم تجاه حاضنتهم الشعبية وبإيثارهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة [٩] ، في نفس الوقت الذي يُشنُّون فيه أشجع الاقتحامات وأعنف الغارات على عدو أمتهم وشعبهم [١٠] .

(٨) علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ط ١١، ترجمة: محمد يوسف عدس، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٧ م)، ص ١٢٥.

لهذا استحقت داريا لقب (أيقونة الثورة السورية) ، فنمطها الثوري لم يكن حَميّةً حماسية بغرض الانتقام من النظام المجرم سرعان ما تنطفئ جذوتها عند هبوب رياح الحرب الضروس، ولم يكن متديِّنُها جاهلاً معتدياً لا يرى الحق إلا في جماعته، فيوجه رصاصه للثورة وأهلها تقرباً لله!، إنما كان نهجها إيمانياً ثورياً شهد بذلك القاصي والداني.

ثانياً: تفرغ الفصائل للقتال والمجلس المحلي لإدارة المدينة

أدركت فصائل داريا العسكرية منذ بداية الثورة ضراوة المعركة وأبعادها الإقليمية والدولية وتنبهت لحجم التحديات وثقل المسؤوليات، فصبت جميع جهودها على العمل العسكري ورفعت جاهزية جنودها وخاضت أشرس المعارك على أسوار دمشق، وتيقنت أن إمكانياتها وقدراتها وطاقاتها لا تكفي لإدارة المدينة من جميع الجوانب الإغاثية والتعليمية والأمنية والإعلامية والطبية والعلاقات الخارجية وغيرها، وبعد اجتماعات ومشاورات شُكِّل المجلس المحلي من مجموعة كبيرة من الخبرات والمختصين الأكفياء ذوي الدين والخلق وأوكلت إليه إدارة جميع الملفات داخل المدينة.

استمر المجلس في عمله بصورة ممتازة وأصبح مضرباً للمثل كإدارة محلية تقوم بالاستفادة من الموارد المتاحة وتوفر الخدمات الأساسية قدر استطاعتها من طعام ودواء وتعليم وصحة في ظل ظروف الحصار الخانق التي مرت به المدينة، مما أثمر صموداً أسطورياً سيُحكى لأجيال مقبلة[١١].

وفي المقابل، ونتيجةً لتفرغ عناصرها طورت الفصائل العسكرية -المنتسبة جميعاً للجيش الحر وعلى رأسها لواء شهداء الإسلام- قدراتها القتالية بشكل كبير بما تيسر لديها من أسلحة خفيفة، فاعتمدت على تأهيل جميع عناصرها وجعلهم انغماسيين واقتحاميين يتسللون إلى مواقع العدو ويلتحمون معه بشكل مباشر، وقد أبدعوا في هذا المجال وأذاقوا جيش النظام وحلفائه الطائفيين المُرّ العلقم طوال سنوات الحصار الجائر[١٢] .

---

(٩) انظر: داريا أسطورة الصمود والخذلان، الجزء الأول، قناة حلب اليوم، الدقيقة ٦.
(١٠) انظر: لواء شهداء الإسلام: اشتباكات وجها لوجه بين عناصر اللواء وقوات الأسد، ٩ أغسطس ٢٠١٥ م.
: الإصدار المرئي لمعركة لهيب داريا، لواء شهداء الإسلام، من الدقيقة ٨ إلى ١٠ .
(١١) انظر: داريا أسطورة الصمود والخذلان، قناة حلب اليوم، الجزء الثالث، من الدقيقة ٢٤ إلى ٢٧ .
(١٢) انظر: داريا أسطورة الصمود والخذلان، الجزء الأول، الدقيقة ٢٩.

من الأهمية بمكان التنبيهُ هنا إلى خطأ كارثي وقعت به الفصائل الكبيرة بالثورة السورية، فمع تضخم الفصائل بعد عمليات التحرير الواسعة في بداية ٢٠١٣ م التي امتدت لتشمل ٨٠ % من الأرض السورية، ومع ازديـاد عدد جنودها، بدأت بإزاحة المجالس المحلية المنتشرة بالمناطق كافة، والمشكلة غالباً من أهل المناطق نفسها، فنشأت ثلاث مشاكل كبيرة: سَحْب قسم من المقاتلين من الجبهات، بدء التنازع بين الفصائل حول أحقية إدارة كل منطقة، إقصاء بعض الكفاءات من المجالس المحلية السابقة واستبدال عناصرها بهم، وهو ما تجنَّبته فصائل داريا ولم تشغل نفسها به، وصرفت همها كله للتركيز على العمل العسكري.

ثالثاً: واقعية الهدف واستخدام جميع الوسائل المتاحة لتحقيقه

تمسكت داريا ببوصلة الثورة المجمع عليها، ولم تنجرف وراء مشاريع حالمة حارقة للمراحل ومدمرة للثورات. فالهدف المرحلي الأهم المجمع عليه بين مكونات الثورة كلها والمتمثل في إسقاط النظام ونزع شرعيته السياسية وتفكيك أدوات بطشه: المؤسسات العسكرية والأمنية، هذا الهدف الواقعي إن لم يتحقق فلا يمكن الحديث عن هيكلة الدولة المستقبلية، بل إن هذا الهدف يحتاج لتكثيف الجهود العسكرية وتأطير الجهود السياسية خاصة مع وجود حلفاء إقليميين ودوليين أقوياء في الطرف المقابل حريصين على بقاء النظام كما هو، ولا يقتصر الأمر على روسيا وإيران بل يشمل العديد من الدول العربية والغربية.

من أجل هذا لم تجد أهم وأكبر فصائل داريا (لواء شهداء الإسلام) بُدّاً من تَلقّي الدعم من غرفة العمليات الدولية المعروفة بـ "الموك" والواقعة بالأردن والتي تترأسها أمريكا، وتشارك بها بريطانيا وفرنسا والإمارات والسعودية وغيرها من الدول. وبالرغم من تنامي الدور الإستراتيجي السلبي الخبيث لهذه الغرفة بتبريد بعض الجبهات المشتعلة، وإيقاف دعم جبهات أخرى في مختلف أرجاء البلاد مما أدى إلى سقوط عدة مناطق منها داريا نفسها [١٣]، فإن داريا واصلت قبول الدعم والاستعانة به في ظل ظروفها الصعبة واشتداد حملة النظام وحلفائه على المدينة.

(١٣) انظر: أورينت نت- بشر أحمد، ما دور غرفة "الموك" في إسقاط داريا، القصة الكاملة، ٢٧ أغسطس ٢٠١٦ م.

وبعد ثبات أسطوري منقطع النظير، ضيَّق النظام الخناق على داريا وكثّفت روسيا من قصفها على ما تبقى من إنسان داريا وحجرها، فحُصر ٧٠٠ مقاتل وسبعة آلاف من الأهالي في بقعة جغرافية لا تتجاوز الكيلو متر الواحد، ومع التخاذل الملحوظ خاصة من فصائل الجبهة الجنوبية (أكبر تجمع للجيش الحر) في درعا[١٥]، هُجّر الداريانيون إلى الشمال السوري المحرر في ٢٦ أغسطس ٢٠١٦م، ليُسدل الستار على هذه الملحمة التاريخية، وينحاز مجاهدو داريا إلى مدينة إدلب.

» في إدلب، استُقبل أبطال داريا بحفاوة بالغة من الأهالي والفصائل حتى إن بعض المحلات التجارية رفضت تقاضي أي أثمان لما يشترونه ثوار داريا تقديراً لثباتهم العظيم وعرفاناً بما قدموه في الثورة[١٦].

وبعد أخذ استراحة محارب واستقرار وضعهم بإدلب استأنف رجال داريا تدريبهم عبر معسكرات جديدة فتحوها وشاركوا في بعض العمليات الكبيرة في حلب وحماة، ولم يُعكِّر هذه المشاعر وقتها إلا بعض الحوادث المزعجة في أول ثلاثة أشهر من وصولهم إلى إدلب من المنتسبين لتيار فكري (منتشر في عدة فصائل كبرى) كان الجهة الأكثر نشاطاً في الاقتتالات والقلاقل الداخلية التي مزقت جسد الثورة العسكري أيَّما تمزيق، فتم اعتقال عدد من عناصر لواء شهداء الإسلام (الفصيل الأكبر في داريا) وصودرت أسلحتُهم وآلياتهم من بعض عناصر جبهة فتح الشام (النصرة سابقاً) متهمين إياهم بالردة والعمالة لأمريكا ![١٧]

وبعدها هدأت الأمور وحُل الإشكال وأُفرج عن المعتقلين ليواصلوا إعدادهم وجهادهم إلى أن دخلت الثورة برمتها في نفق مظلم من التراجع والهُدَن والتهجيرات والسبات العسكري نتيجة لأسباب كثيرة داخلية وضغوطات رهيبة خارجية (ليس هنا محل ذكرها وتفصيلها)، إلا أنه لم تنتهِ المعركة بعد طالما بقيت الثورة ممسكة بسلاحها ومصححة لأخطائها ومرتقبة فرصة الانقضاض على عدوها من جديد.

---

(١٥) انظر: المصدر السابق.

(١٦) للمزيد: وكالة خطوة الإخبارية، لقاء مع ثوار داريا وحديث عن اقامتهم بادلب، أول دقيقتين، ١ سبتمبر ٢٠١٦ م.

(١٧) انظر: موقع عكس السير، "نخبة الخير تهان"، ١٧ نوفمبر ٢٠١٧ م.



قادة ومجاهدو لواء شهداء الإسلام (داريا).

نجحت داريا في تجديد الأمل وزع الثقة في نفوس الثوار خلال مسيرتها عبر تقديم نموذجٍ مبهر متكامل للعمل الثوري، فلم يقتصر إنجازها على ملحمة عسكرية نادرة ستُسجّل في أشرف سجلات التاريخ البشري وفي موقع من أهم المواقع الجيو/سياسية في العالم، بل تعداه إلى نجاح متميز في الإدارة الذاتية للمدينة المحررة رغم نقص الإمكانات المادية المتاحة، وذلك بتقديم الكفاءات والكوادر المتميزة الثائرة من أهل البلد كلٌّ في مجاله، وهو أمر في الأهمية غاية، لاستمرار إيمان الشعوب بالثورات وقدرتها على التحول لدولة في المستقبل، وفوق ذلك كله قدمت صورة مبهرة لأثر الإيمان الرباني المُفعّل في تكوين شخصيات سويّة متوازنة تمارس الجهاد (العنيف) ضد أعداء أمتها دون أن تفقد التراحم (الأسيف) مع أبناء أمتها مع تخطيطها وتنفيذها لبرنامج (حصيف) لمستقبل أمتها يفرق بين أهدافها المرحلية والغائية، وهو ما يجعلنا نجدد الأمل كل يوم ببروز مثل هذه النماذج على امتداد الرقعة الثائرة من عالمنا الإسلامي.



كنت معهم(٣) شاهد على اعتــقــالات الإسلاميّين بــالجــزائر

– الصغير منير –

لقد كان السجناء بين سنتي ١٩٩٢ و ٢٠٠٠ عيّنةً من المكوَّن البشريّ للجبهة الإسلامية وعيّنةً من المجتمع الجزائريّ. لقد كان السجناء بين سلفيّ وقطبيّ وجزأريّ (تيّار البناء الحضاريّ) وإخوانيٍّ سابقٍ التحق بالجبهة ومَن كان من جماعة الشرق وكان منهم آخرون مُتديّنون غيرُ منتمين لأي جماعة أو تنظيم وآخرون مِن تيّار الهجرة والتكفير على قلّتهم، كما كان في السجناء ابنُ المدينة وابن القرية والريفيّ وأصحاب الحرف وسُكَّان الشمال والجنوب والأغنياءُ والفقراء والعرب والبربر .... إلخ.

كان هذا التنوّع يختلف ويزداد أو ينقص بحسَب كون السجن مركزيّا كبيرا يتّسع للآلاف أو ولائيا صغيرا يتّسع لمئتين أو ثلاثِ مئةِ سجين، وبحسَب حركة الترحيلات بين السجون وخطط وزارة العدل وأهدافها من وراء هذه الترحيلات.

في السنتين الأُوْليين كانت تنتشر بين المساجين روحٌ من المودّة والتآلف والتآزر والتكافل خفّفت عنهم آلام السجون وصنعت شبكةً من العلاقات الاجتماعية داخلها، وانتشرت حلقات التعليم في الفقه والسيرة والتفسير والحديث واللغة وتدريس المتون وشرحها وحصص محو الأمّية للكبار وممارسة الرياضة، وكان الفقراء لا يشعرون بالحاجة والأغنياء لا يقصّرون في البذل والعطاء، والشباب يخدمون كبار السنّ والجميع تقريبا على قلب رجل واحد في موقفهم تجاه السلطة الانقلابيّة ووجوب مقاومتها وجهادها وإسقاطها حتى لو اختلفوا في بعض التفاصيل التي كانت تبدو يومئذ غيرَ ذات بال ولا خطورة.

لكن مع مرور الأشهر وتصرّم السنوات والتحاق الآلاف بالجماعات الجهاديّة التي وقع بينها تمايز واضح، استقرّ الأمر في الغالب على فصيلين كبيرين:

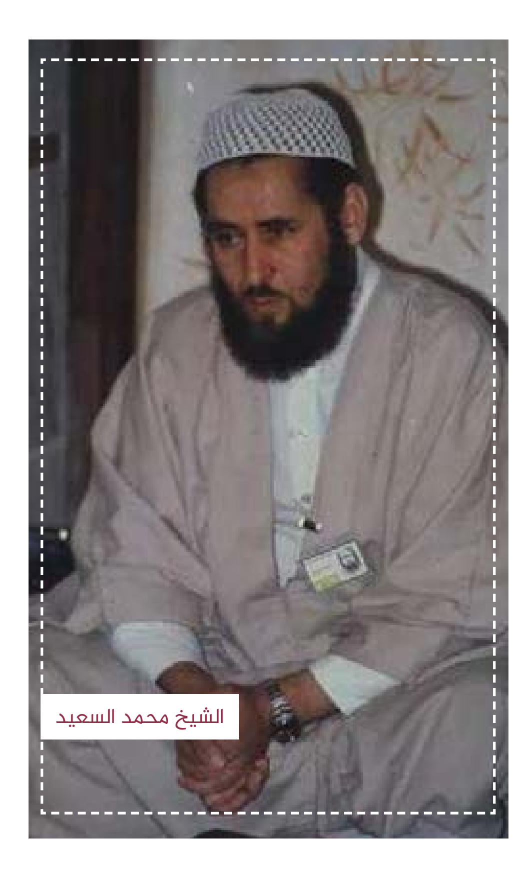
- الجماعة الإسلاميّة المسلّحة وهي الأكبر والأكثر عددا وانتشارا وداخلها فصائل وتكتلات تحتفظ بخصوصياتها التي كانت سببا بعد ذلك في الانشقاقات والاقتتال الداخلي.
- الجيش الإسلامي للإنقاذ، وعدده وانتشاره الجغرافي أقل بكثير من الجماعة الإسلامية.

ومعهما بعض الجماعات والفصائل الصغيرة التي تميل إلى الجماعة أو إلى الجيش دون انتماء تنظيمي واضح وكذلك فرق صغيرة من الهجرة والتكفير انخرط أكثرها لاحقا في الجماعة الإسلاميّة بعد انحرافها واختراقها أواخر ١٩٩٥ وبدايات ١٩٩٦.

بدأ السجناء يتأثرون بوضوح بهذا الانقسام الفصائليّ خارج السجون، و كان الوافدون الجدد يحملون معهم كمّا هائلا من الأخبار والمعلومات، بعضه صحيح وبعضه مبالغات وبعضه مُختلَقٌ عن ما تقوم به الجماعة أو الجيش الإسلاميّ وعن الاختلاف والاستقطاب بينهما، ولم يكن هذا التأثّر مقصورا على الشباب المثقّف أو المنتمي للصحوة الإسلاميّة فقط بل تعدّاه إلى البسطاء من الفلّاحين وغيرهم الذين كانوا بدورهم يتعصّبون لطرف من الأطراف لأنّهم عملوا معه في الإيواء أو الرصد أو التمويل والتموين، وقد ارتقى هذا التأثّر من مجرّد الانتصار والدفاع عن موقف طرف ما إلى استقطابٍ ثم إلى خصوماتٍ وهجْرٍ ثم إلى تصنيفٍ ثم إلى مناوشاتٍ بالأيدي وغيرها مما يتوفّر في السجن. وأصبحت الفتاوى تُصدر بعدم جواز الصلاة وراء الإمام الفلاني في السجن لأنه من الجهة الفلانيّة وبعدم جواز اقتسام الزنزانة أو المؤونة مع من ليس من هذه الجماعة أو تلك وانتشرت أحكام التبديع والتكفير وإطلاق أوصاف الخيانة والعمالة والجبن والخِذلان والتطرّف والغلوّ.

”لم يكن أكثر المساجين معنيّا بهذه المظاهر أو مشاركا فيها بشكل مباشر، ولكن ضيق السجون وغموض الوضع خارجها وطول الأحكام الصادرة بالسجن جعل الضغطَ أكبرَ والشحنَ النفسيّ والتوتّر يزداد مع كلّ مرحلة.

ولقد بلغ الأمر أن صارت البيعة تؤخذ مثلا للجماعة الإسلامية المسلّحة عن طريق ممّثلين لها داخل السجون وأصبح كلُّ من لا يُبايع يُصنّف شاقّا للصفّ ولعصا الجماعة ومبتدعا أو عميلا للطاغوت يجب هجرُه وأحيانا - كما وقع في عدد من السجون - تعزيرُه بالضرب والجلد وانتشرت فتوى مُفادُها أنّ كلّ الجماعات ما عدا الجماعة الإسلاميّة تقاتل تحت راية جاهليّة عِمّية، حتى أنّ أحد رؤوس هؤلاء وهو ما زال حيّا سجد هو وأتباعه سجودَ الشكر داخلَ سجن البرواقية حين بلغهم خبر مقتل الشيخ محمد السعيد على يد الجماعة الإسلاميّة.


الشيخ محمد السعيد

لم يكن هذا الأمر ليخفى على إدارة السجون التي كانت في الحقيقة فرعا لجهاز المخابرات، واستثمرت فيه واستغلّته أبشع استغلال فكانت تتعمّد خلط المساجين من توجّهات مختلفة ومتعارضة حينا أو تفرّق بينهم لمزيد من الاستقطاب والتميّز حينا وتُعاقب طرفا وتتغاضى عن طرف فيتّهم هذا ذاك ويجد الآخر نفسه مضطرّا للتسويغ والدفاع عن نفسه، وكانت الأمور تزداد سوءا يوما بعد يوم خاصّة بعد بداية مرحلة المجازر الجماعيّة وفتاوى قتل كل منتسبي الخدمة العسكرية وقتل الأجانب وتعزير أو قتل المدخنين والحلّاقات والمعلّمين وفتوى قتل الفتيات المعلّمات والملتحقات بالجامعات وفتاوى استحلال السبي وقتل نساء وأبناء المرتدّين كما كانت تصنّفهم فتاوى الجماعة الإسلامية آنذاك.

وفي المقابل كان الجيش الإسلاميّ قد شرع مبكّرا في الترويج للهدن والمصالحة والحلّ السياسيّ باعتداده جناحا عسكريّا للجبهة الإسلاميّة، وصار أنصار الجماعة الإسلامية يتّهمون أنصار الجيش الإسلاميّ بالخيانة والعمالة والجبن وأحيانا بالردّة وهؤلاء يتّهمون أنصار الجماعة الإسلامية بالغلوّ والتطرّف والخارجيّة وتبنّي منهج التكفير العامّ في حين يضرب النظام هؤلاء بأولئك ويستنزف الجميع حتى داخل السجون التي أصبحت سجونا مضاعفة وظلمات بعضها فوق بعض بسبب

ما يجري في الخارج. وأصبح أكثر المساجين يرون أنّهم ضحّوا من أجل لا شيء وأنّ الجماعات صارت تقتتل دون هدف واضح ولا ضابط شرعيّ فكان ذلك ممّا يزيدهم يأسا وعنفا وشكّا في القضيّة التي من أجلها سُجنوا، وقد يبدو هذا التوصيف أمرا مبالغا فيه ولكن حين نتذكّر أن عدد المساجين كان بعشرات الآلاف وأنّهم كانوا جزءا مهمّا جدّا من الحاضنة الشعبيّة للجماعات الجهاديّة وأنّ نسبةً لا تقلّ عن ٨٠% بعد خروجها من السجون منهم نأت بنفسها بعيدا عن هذه الجماعات أو تنكّرت لها ولم تعد تُقدّم لها الدعم اللوجيستي الذي كانت تقدّمه من قبل بل وبعضهم انقلب على الطرح الجهادي كلّه، حين نتذكّر ذلك نُدرك خطورةَ ما كان يحدث داخلَ السجون واستثمارَ الأجهزة الاستخباراتية فيه وتوظيفَه إلى أبعد الحدود، وحين نتذكّر أن مثل ذلك حدث في سجون مصر والعراق وسوريَة بعد ذلك نفهم جيّدا خطورة الأمر على أيّ مشروع تغييريّ إسلاميّ جادّ وشعبيّ وأنّ الحركات الإسلاميّة السياسيّة مثل الجهاديّة لم تستفد شيئا كبيرا، إذ تُكرّر أخطاءها وتُلدَغ من الجحر نفسِه مرّاتٍ ومرّات، وأنّها لا تدرس تجاربَها ولا تستفيد من تجارب غيرها كِبرا أو جهلا أو غباء استراتيجيا أو عُجبا واعتدادا بالنّفس.

لقد تُـرِك المساجين يواجهون مصائرهم بأنفسهم، فلم تكن الجماعات المسلّحة خارج السجون تمتلك الوقت ولا المـوارد ولا الرؤية والوعي الثوريّ اللازم لرعايتهم ومتابعة أحوالهم وتنظيمهم بشكل يسمح لها باستثمار هذا العدد الهائل منهم والتنسيق معهم للاستفادة منهم عند إطلاق سراحهم أو لتُشكّل بهم كتلةً ضاغطة على النظام داخل السّجون أو تؤثّر بهم على الرأي العامّ بطريقة تخدم أهدافها، وكان أقصى ما تفعله معهم هو أن تقوم باغتيال بعض حرّاس السجون وضباطها من الذين كانوا يؤذون المساجين ويعذّبونهم ويتسلّطون عليهم أو أن تجنّد مِن بينهم عددا محدودا من الشباب والكهول ليلتحقوا بها بعد خروجهم.

ولم تكن الجبهة الإسلاميّة بوصفها حزبًا سياسيًّا -ولو أنّه كان مُحَّلا بحكمٍ قضائي عسكريّ- والجيش الإسلاميّ الذي كان يُقدّم نفسه على أنّه الذراع العسكريّ لها، بأحسن حالا من الجماعة الإسلامية المسلّحة، وإنّه لغريب حقّا أنّ حزبا سياسيّا مثل الجبهة الإسلاميّة -حتى وهو ضعيف تنظيميّا وقياداته بين سجين ومطارد وفارّ إلى الجبال أو إلى الخارج- لم تكن له أيُّ خطّة أو تأثير مباشر على أوضاع منتسبيه داخل السجون وهم بالآلاف في محاولة لتنظيمهم وتأطيرهم والمحافظة عليهم.



وإذا كان الأمر مفهوما ومُسوَّغًا من طرف الجماعة الإسلاميّة المسلّحة التي لم تكن تؤمن بأيّ سلوك أو خطّة تتعلّق بالشأن السياسيّ وتراه انحرافا ومزلقا عقديّا ولم تكن تُعيْر أدنى اهتمام للرأي العامّ فإنّ الأمر من طرف حزب سياسيّ لا يدلّ إلا على غياب الرؤية والبصيرة السياسيّة والفهم لموازين القوّة والصراع، وإذا كان منتسبو الجبهة بقي عدد كبير منهم على وفائهم لها وارتباطهم العاطفي والتنظيميّ في حدّه الأدنى بها فإنّ ذلك لا يعود إلى أيّ جهد منظّم أو تخطيط مسبق قامت به الجبهة وإنّما كان ثمرةً لإيمان هؤلاء بالقضيّة التي كانت الجبهة تدعو إليها وتُناضل من أجلها: إقامة الدولة الإسلاميّة وتحكيم الشريعة وتحقيق الاستقلال الحقيقيّ والنهضة الشاملة وثمرةً لمبادرات كثيرة أكثرُها كان يفشل ويتعثّر ولا يُحقّق أهدافه لأسباب خارجيّة وداخليّة.

لقد كانت إضرابات واحتجاجات المساجين لا تتوقّف، وما من سجن من سجون الجزائر إلّا وشهد حركةَ احتجاج وإضراب جزئيّ أو شامل، طويل أو قصير، سلميّ أو عنيف. وبرغم أنّ هذه الإضرابات والاحتجاجات كانت مُسوَّغةً جدّا وشرعيّة ويشارك فيها المساجين بشكل شبه كلّي وبشجاعة منقطعة النظير ويتحمّلون تبعاتها ونتائجها التي كانت أكثرها في غير صالحهم بسبب العنف الممارَس ضدّها أو ضعف التخطيط لها أو كيد ومكر إدارات السجون في التعامل معها وتفريق كلمة القائمين عليها والمشاركين فيها، برغم ذلك فإنّها كانت تمرّ وكأنّها عَدَم، فلا يتحدّث عنها إعلامٌ خارجيّ ولا داخليّ بل ولا يهتمّ بها إعلامُ الجبهة والجماعات الجهاديّة ولا يُروَّج لها ولا تُستثمر حقوقيّا ولا سياسيّا كورقةِ ضغطٍ وتأثيرٍ ولا تُوثَّق مَاجَرياتُها ونتائجُها والقمعُ الذي كان يُصاحبها، بحيث لو أراد المؤرّخ اليوم أن يكتب شيئا عن هذه الظاهرة خلال أكثر من سبع سنوات فلن يجد أيّ شيء مكتوب ومدوّن وموّثق ما عدا ما يمكن أن يقدّمه أرشيف إدارات السجون ووزارة العدل أو ما يستطيع المؤرخ والباحث أن يجمعه من أفواه المشاركين فيها الذين لم يكن أكثرهم يعبأ بتوثيقها وحفظ أحداثها.



هذا الإهمال السياسيّ والتنظيميّ والإعلاميّ للمساجين وقضاياهم ومعاركهم داخل السجون كان أحد أسباب اليأس والانفضاض من حول القضية الإسلاميّة والشعور بأنّهم رقم مهمل لا تأثير له وأنّهم يخوضون معركتهم وحدهم دون دعم ولا إسناد ولا توجيه.

لقد كانت جبهةُ التحرير الوطني إبّان ثورة التحرير (١٩٥٤ - ١٩٦٢) أكثرَ تنظيما في تعاملها مع السجون وأعمقَ وعيا وأشدّ اهتماما وأكثر استثمارا لها سياسيا وإعلاميّا، وهي تجربة كانت حاضرةً وموّثقة وشهودُها ما زالوا أحياءً إلى اليوم، لكن لا أحد من الجماعات المسلّحة أو الجبهة الإسلاميّة كلّف نفسه دراسةَ التجربة واستخلاص العبر منها وتطويرها من أجل استفادة أمثل وأفضل بما يناسب طبيعة الصراع في وقت التسعينيات.

ولم يكن هذا الإهمال مقتصرا على المساجين العاديّين ممّن كانت قضاياهم مرتبطة بالعمل المسلّح أو السياسيّ، بل الغريب أنّ قيادات الجبهة الإسلاميّة السياسيّة وعلى رأسها الشيخ علي بن حاج كانت تقوم بإضرابات واحتجاجات قويّة تؤتي ثمارها أحيانا وبرغم ذلك فلا أحد كان يوثّقها ولا يستفيد منها ويستثمرها ممّا يعني شيئا واحدا فقط: أنّ الجماعات المسلّحة والجبهة الإسلامية كليهما لم يكن في مستوى المعركة التي كانا يخوضانها ضدّ السلطة الانقلابيّة ولا كان قد أخذ لها أُهْبَتَها أو خطّط لها من قبل أو توقّعها واستشرفها وأنّ الشباب والكهول من كلّ فئات الشعب وأطيافه ومناطقه الذين امتلأت بهم السجون والجبال كانوا مادّة خاما وموردا بشريا كبيرا مؤمنا بقضيّته مستعدّا للتضحية من أجلها في حين كانت (القيادة) ضعيفةً فاقدةً لـ(الرؤية) تتخبّط وتتعامل مع الأحداث الكبرى بلا أيّ استراتيجيّة أو تخطيط ومنطق: (أحيني اليوم واقتُلْني غدا)،



الشيخ علي بن حاج

وأنّ ما بذلته من طاقات وجهود وسلاح وأموال وأرواح في صراعاتها البينيّة كان أكثر بكثير ممّا أنفقته في الخيارات الاستراتيجيّة ومن بينها الاستثمار في المورد البشريّ الهائل داخل السجون والذي بلغ في مجموعه ما لا يقلّ عن نصف مليون سجين كان يمكن أن يكون نصفهم على الأقلّ رصيدا بشريّا يحافظ على حياة القضيّة وعنفوانها واستمراريتها ويحفظها من الانحراف والاختراق والسقوط المَريع الذي تعرّضت له لاحقا والذي ما زالت آثارُه حيّةً وحاضرة في نفس كل من عاش تلك الفترة الصعبة القاسية..

وللحديث بقيّة ..



تزامن وصول آخر حافلة تَقِلُّ مهجَّرين من ريف حِمْص إلى الشمال السوري المحرر مع وضع آخر نقطة مراقبة للجيش التركي، فبدأت بذلك مرحلة جديدة قد تكون أخطر مراحل الثورة السوريّة على الإطلاق. من المهم في البداية أن نؤكد أن صراع الشعب السوري منذ بداية ثورته في ٢٠١١ لم يكن ضد نظام بشار الأسد بل مع النظام الدولي بكل قواه ومؤسساته، والذي يحاول إبقاء الصراع بما يحفظ مصالحه ويضمن استقرار واستمرار تفاهمات ومكاسب ما بعد الحرب الباردة. وعندما نعاين حصيلة المنجز الثوري في سوريَة فعلينا أن نفعل ذلك وفي بالنا حجم التحدي المرفوع في وجه الشعب السوري وقد قُدِّر له أن يُنازل منظومة دولية ذكية وغاشمة.

خطة تهجير أهالي المدن الثائرة من مختلف المناطق السوريَّة إلى الشمال السوري المحرر ليست من أفكار النظام السوري قطعا، وإنما هي من توجِيهات النظام الدولي، وقد اعترف "رياض نعسان آغا" أن وزير الخارجية الأمريكي الأسبق "جون كيري" قال له جوابا عن سؤال حول مصير إدلب طرحه عليه: "إدلب تنتظر الإبادة وهناك اتفاق دولي على تجميع الثوار في المدينة"[١] . والمسألة لا تحتاج إلى تسريبات أو اعترافات ما دامت الشواهد قائمة لا تقبل الشك أو الجدل، فكل عمليات التهجير تمت تحت رعاية الأمم المتحدة وغيرها من المؤسسات الدولية النافدة وتحت إشراف مبعوثِيها ومراقبِيها. ولأن معركة الأمة مع النظام الدولي ومؤسساته معركة متشعبة وممتدة بحيث تشمل فضاء الاستعارات والتراكيب اللغوية (وقد نتطرق يوما إلى الحديث عن الاستعارات التي يقتلوننا بها)، ولأن المعركة بهذا التشعب والتركيب فإن الأمم المتحدة لا تُسمي ما تُشرف على إنجازه من تهجير قسري نَصَّ نظامُ روما الأساسي على اعتداده جريمةً ضد الإنسانية، لا تسمي ذلك تهجيرا قسريا وإنما تسميه "تأمين ممرات آمنة للمدنيين" و"ضمان سلامة المدنيين العالقين في ساحة الحرب" و"ضرورة الحفاظ على أرواح المدنيين بنقلهم إلى مناطق أكثر أمنا".. هذه الصيغ اللغوية الخادعة تعني في جوهرها المشاركة والإشراف المباشر على إنفاذ أقذر عمليات التطهير العرقي في التاريخ المعاصر، والمساهمة الفعالة في القضاء على الوجود السني في الشام.



(١) تسريب صوتي نعسان الأغا نقلا عن جون كيري اتفاق عالمي على تجميع الثوار بإدلب، https://www.youtube.com/watch?v=eXPufHt4nAY&t=28s

نقطة أخرى ينبغي التنويه إليها وهي :

> أن الثورة الشعبية في الشام تواجه آخر ما صاغه وابتكره العقل الجبري من أفكار ونظريات تتعلق بمكافحة واحتواء التمرد، وبالتالي فليتوقع الثوار أساليب واستراتيجيات غير معهودة في سياق ما مر من تجارب الحروب والمقاومات الشعبية. لا شك أن ملامح توافقات الكبار تُظهر رهانا دوليا على إعادة تأهيل نظام بشار الأسد موازاةً مع ضرب وتفكيك جيوب الثورة المنتشرة في جنوب ووسط سوريَة، تأهيلٌ يتم جزء منه بواسطة ما يسمى بالهدن والمصالحات وهي التي تُؤمِّن للنظام مزيدا من المقاتلين ممن سُوِّيت أوضاعُهم وأُعيد دمجُهم في الجيش والميلشيات التابعة له، كما تعيد هذه المصالحات المزعومة لملمة شرعية النظام الطائفي من خلال التوقيع على وثائق تعترف بسيادة مؤسسات النظام ودعمها في مهمة القضاء على الإرهابيين، ومن يرفض التوقيع على هذه "المصالحات" يُشرَّد ويُهجَّر من أرضه برعاية الأمم المتحدة أو "تأمين ممر آمن له ولعائلته" وفق تعبير المنظمة.

تضاربت السناريوهات حول مصير مدينة إدلب بعد اكتمال مخطط تهجير الثوار والمدنيين إليها انطلاقا من باقي مدن الثورة المنكوبة (حلب، مضايا، الزبداني، عرسال، الغوطة الشرقية، داريّا، ريف حِمص الشمالي..)، وتضاربت أيضا الآراء التي تحاول تفسير دواعي التهجير وخلفياته ولماذا الشمال تحديدا وليس درعا مثلا أو أي منطقة أخرى. قلنا سابقا أن التهجير مخطط دولي بامتياز جرى التمهيد له من قِبَل المبعوثين الأمميين الذين تعاقبوا على سوريَة منذ بداية الثورة، ففكرة إقرار "مناطق خفض التصعيد" التي تم بموجبها فرز مناطق الثورة وقضمها بشكل مُركَّز واحدةً بعد الأخرى لم تكن وليدة توافقات "أستانة" بل طرحها أولا المبعوث الأممي "ستيفان ديمستورا" باقتراحه خطة تقضي بتجميد القتال في بعض المناطق سنة ٢٠١٤، وتم البناء على الفكرة لتؤول إلى ما آلت إليه. وإذا كانت درعا في الجنوب قد حُسِمَ أمرُها منذ مدة ليست بالقصيرة بسبب موقعها الجغرافي الحساس وخضعت لتفاهم إقليمي ودولي خرجت على إثره مبكرا من معادلة الثورة، فإن الشمال السوري المحرر يسير نحو مصيره، مصير سنحاول تجلية بعض ملامحه وطرح ملاحظات وتوصيات بشأنه.

أولاً :

من الخطأ وسوء التقدير الاعتقاد أن النظامَ السوري وحلفاءه لن يقوموا بحملة عسكرية تستهدف إدلب، وقد قرأت لبعض وجهاء الثورة قوله أن نقاط المراقبة التركية ستعصم إدلب من أي اجتياح قد يقوم به النظام وروسيا مستقبلا، وهذه قراءة خاطئة وتقدير في غير محله، فإذا كان النظام وروسيا قد قاما بتدمير مدن واجتياحها رغم أن من يتحصن بها صُنِّفوا في خانة من يُسمُّون بالمعارضة المعتدلة، فكيف بمدينة إدلب التي تضم من أجمع النظام الدولي ومكوناته على اعتدادهم إرهابيين يجب القضاء عليهم. إن العقيدة القتالية للنظام الدولي وقواه الفاعلة تتعارض تماما مع وجود ملاذ آمن في أي بقعة من العالم يأوي من تعتدُّهم إرهابيين. قد يتأخر الخيار العسكري أو قد يُناط تنفيذه بجهات أخرى، و بتكتيكا ت جـــديـــدة لـكـن لـن يُستبعد من حـسـابـات الـحـل، خصوصا إذا لم تُسفر الخيارات الأخرى عن نتائج مُرضيَة. وبالتالي فمهما بدا الحل العسكري بعيدا أو غير ممكن فينبغي الاستعداد له وحشد كل القدرات من أجل التعامل معه، ولا تقع القيادة الثورية في الخطأ الذي وقعت فيه القيادة العراقية عشية الغزو الأمريكي للعراق، فقد تحدث الفريق الركن رعد الحمداني -قائد الفيلق الثاني في الحرس الجمهوري- في كتابه "قبل أن يغادرَنا التاريخ" أن القيادة العراقية قبل أيام قليلة من الغزو كانت لا تزال تتداول حول جدية إقدام أمريكا على الغزو من عدمه، في الوقت الذي ينتظر الغزاة على الحدود ساعة الصفر!

إذا كان الخيار العسكري مأساويا فإن الحلول السياسية المزعومة لا تقل عنه مأساوية، تضيع التضحيات ويغشى الوهن والركود أصحاب القضية، مفاوضات، ومؤتمرات، وحديث هزلي عن "عودة اللاجئين" و "المصالحة الوطنية" و"حكومة الوحدة الوطنية" و"الدُّستور التوافقي" و"كبير المفاوضين".. إلى غيرها من العبارات والشعارات التي بدأنا نسمعها عن قضية الثورة السوريّة بعدما كنا نسمعها عن قضية فلسطين، نكبة الأمة الأولى. وقد تتحوَّل ملحمة الشعب السوري التي قَدَّم فيها مئات الآلاف من الشهداء إلى ذكريات وأُمسيات فلكلورية تتخللها عروض الدبكة وما علق بالذاكرة من "أهازيج" الثورة وأيام الكفاح.

> إدلب كالذرة، تكمن فيها طاقة ثورية وجهادية مدمرة إذا أحسن قادة الثورة تحريرها على الوجه الصحيح، في المدينة عشرات الآلاف من الثوار والمقاتلين العقائديين الغاضبين الذين هُجِّر أكثرُهم من أراضيهم، وفي صدر كل واحد منهم ثأر عند بشار ومن ظاهره على عدوانه. ومخزون من الأسلحة يكفي لتحويل سوريَة إلى كُرَةٍ لهيب حارقة. موجات النزوح التي استقرت في المدينة يجب أن ترتد عائدة كطوفان يقتلع كل ما وجده في طريقه من مشاريع الاحتلال والطغيان.

أولا:

على الفصائل الثورية في إدلب استيعاب كل المقاتلين والعناصر النازحة إلى المدينة، وإعادة ترتيب الصفوف وفق نظام عسكري يعتمد المجموعة الصغيرة استعدادا لحرب عصابات قد تُفرض على الثوار في أية لحظة، وتخزين الأسلحة في أماكن مختلفة، وتجنُّب أخطاء الفصائل في المناطق الأخرى حين كدَّست أطنانا من السلاح في المستودعات، فوقعت المستودعات في يد النظام وذهبت بذلك سنوات من الجهد وملايين من الدولارات هباء.

ثانيا:

على الثوار في الشام أن يكُفُّوا عن الاعتقاد أنه يمكنهم في يوم ما الاندماج في كيان موحد، تحت قيادة واحدة، ومرجعية واحدة. الصحابة رضوان الله عليهم لم تحصل تلك "المعجزة " في زمانهم، إنها فكرة مثالية لا حظ لها في عالم الواقع والحركة، ولا يزال الاختلاف وتعدد وجهات النظر ونزوع النفس إلى التفرد وحب السلطة من سمات الإنسان والمجتمعات والحركات السياسية وأشد ما يكون ذلك ظهورا في حضارتنا العظيمة. وعِوَضُ الجري خلف اندماج لن يأتي فلتبادر قوى الثورة "الأصيلة" إلى الاتفاق على آليات لإدارة تنافسها وتدبير خلافاتها، وتنسيق مواقفها وجهودها.

ثالثا:

قرأت كثيرا من الملاحظات على مواقع التواصل الاجتماعي كما جادل كثير من الثوار ممن لهم دراية واطلاع على تفاصيل الشأن الداخلي للثورة، أن نظام المنح والكفالات لم يعد مجديا وفعالا، بل إن بعضهم أرجع ما حل بالثورة من تدهور وتراجع إلى ذلك النظام. ورأوا أن اعتماد نظام توزيع الغنائم على الثوار كفيل ليس فقط بخلق موجة ثورية ترتد من إدلب إلى كل مناطق سوريا بل بعودة معظم المهاجرين من أوروبا ممن فرُّوا إلى هناك يلتمسون بسطة في الرزق والمال. وسيؤدي ذلك أيضا إلى انشقاقات في صفوف جيش النظام، وسيعود إلى الثورة من تركها خصوصا ممن تعذر عليه التوفيق بين العمل الثوري وسعيه لتأمين الطعام ولقمة العيش لأهله وأطفاله.



المعركة معركة وعي وذكاء وإرادة، فليكن إذن العقل الثوري الجهادي في الشام في مستوى التحدي، وليدرك اللحظة الفارقة، ولا يدع الشام تؤول إلى أعداء الأمة من المحتلين والصفويين.

عصر المبادرات الفردية

م. أحمد مولانا



يسود مُناخٌ تشاؤمي لدى العديد من القطاعات الشبابية في البلدان التي شهدت ثورات مضادة، فهذا يُلقي باللوم على الأنظمة الاستبدادية، وذاك يلقي باللوم على الجماعات والتيارات العاجزة والمشلولة، وثالث يلقي باللوم على الرموز والقادة، ولكل منهم وجهة في كلامه، ولكن إذا كان الواقع مُتردِّيًا، والثغور كثيرة، فماذا ننتظر؟

إنّ العصر الذي نعيش فيه لم يعد عصر القوى العظمى والدول القوية والجماعات الكبيرة وحدهم، إنما دَخَل المشهد لاعبون جُدُدُ أصغرُ لهم قدرةُ على التأثير بشكل كبير في الأحداث، بل وفَرْض أمرٍ واقعٍ على الكيانات الأكبر، سواء في الجوانب الاقتصادية أو الإعلامية أو السياسية أو الأمنية والعسكرية.

ففي مجال التكنولوجيا تمكنت شركات صغيرة من حيازة الريادة في بعض تقنياته، وفي المجال العسكري تُواجه العديد من الدول القوية تمرداتٍ وحروبَ عصاباتٍ لم تتمكن من الانتصار فيها رغم ضعف خصومها في العَدد والعُدَّة، فأميركا وحلف الناتو ما زالا يتعثَّران بالساحة الأفغانية في مواجهة حركة طالبان بعد مُضيّ ١٧ عاما على بدء الغزو الأميركي لأفغانستان. وتمكن الحوثيون من السيطرة على عاصمة بلد عريق كاليمن، ولم يتمكن التحالف السعودي العربي من الاقتراب من صنعاء رغم مرور ٣ سنوات على بدء حملته العسكرية ضد الحوثيين.



أما الهجوم الأبرز على الأراضي الأمريكية، فلم يقم به الاتحاد السوفيتي في عز قوته، ولا وقفت خلفه دولة يحكمها نظام قوي ومغامر مثل عراق صدام أو إيران الخميني، إنما نفذه ١٩ شخصا من عناصر تنظيم القاعدة، والذي كان يعيش قادته في جبال وكهوف أفغانستان في ظل بيئة نائية، ومقومات مادية هزيلة.

وفي فلسطين نشأت حركة حماس كحركة صغيرة، وضعيفة التسليح مقارنة بالتنظيمات الفلسطينية العتيدة كفتح والجبهة الشعبية، ورغم ذلك تمكنت حماس من النمو خلال عقود معدودة، بل ودفعت جيش الاحتلال الإسرائيلي لمغادرة قطاع غزة، ومن ثم نجحت الحركة في السيطرة على القطاع لاحقا وطرد المليشيات الدحلانية.



حركة حماس

أما المجال الإعلامي، فلم يعد مقتصرا على القنوات الحكومية فضلا عن القنوات الخاصة، إذ زاحمت وسائل التواصل الاجتماعي وسائل الإعلام التقليدية، وصار تأثيرها أكبر من الصحف الورقية، حتى إن بعض الصحف العالمية قلَّصت من أعداد نسخها المطبوعة. كما تحظى الكثير من الفيديوهات المنشورة على موقع يوتيوب على مشاهدات مليونية تفوق مشاهدات بعض أشهر برامج القنوات الفضائية. وما زلتُ أذكر في نهاية التسعينات من القرن الماضي سلسلة أفلام جحيم الروس في الشيشان، والتي كانت تحتاج إلى جهاز فيديو باهظ الثمن لمشاهدتها، بينما اليوم صار التصوير والنشر والمشاهدة من أسهل ما يمكن. كما صار من اليسير على المرء أن ينشر أفكاره عبر الفيسبوك وتويتر وتليجرام ويوتيوب وسناب شات وغيرها من التطبيقات بشكل لم يكن متاحا قبل عقدين من الزمن، فسابقا كانت الأحزاب والجماعات توزع منشوراتها وبياناتها في الشوارع وعبر البريد للدعاية لأفكارها، لتصل في النهاية إلى أعداد محدودة تقدر بالمئات وربما بالآلاف، بينما يمكن لصفحة أو حساب فيسبوكي أن يوصل أفكاره لمئات الآلاف عبر ضغطة زر.

فإن لم يكن المرء من أصحاب الأفكار، ولكنه من أصحاب الأموال، فيمكنه تقديم خدمات جليلة، فكم من مشاريع مهمة تتعثَّر لعدم القدرة على توفير الحد الأدنى من الأموال اللازمة لتدشينها وإنجاحها، فالدعم المالي أمر شديد الأهمية. وإن لم يكن المرء من أصحاب الأفكار أو الأموال، فيمكنه تبني الأفكار الجيدة والهادفة، والدعوة إليها في محيطه العائلي ووسط أصدقائه.



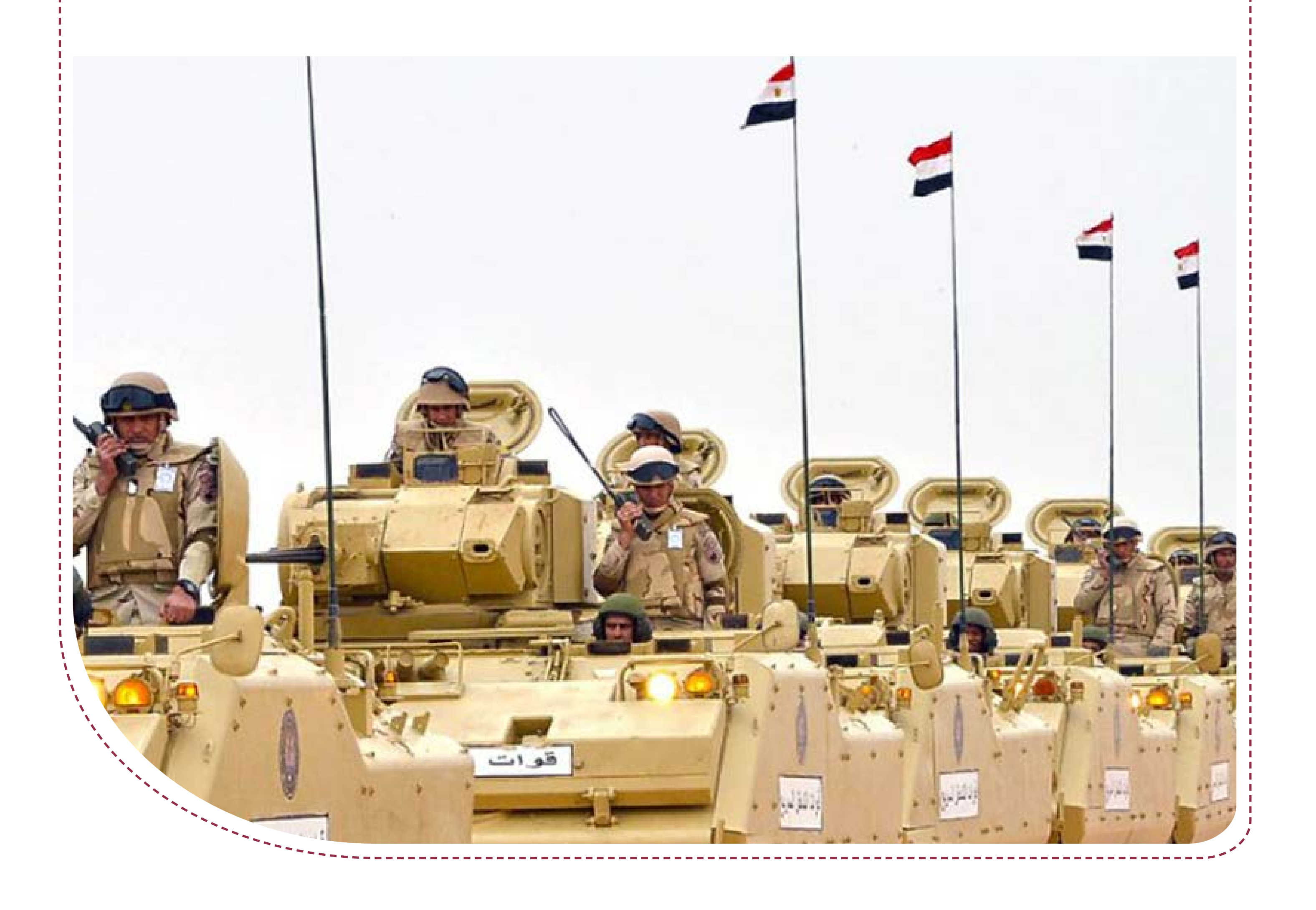
الشاهد مما سبق أننا حاليا نعيش في ظل تطورات تقنية، وتراجع في سيطرة الأنظمة القمعية على المجال العام، مما يُمكِّن الأفراد من التأثير والفعل مهما كانت إمكاناتهم محدودة، طالما توافرت لديهم الإرادة والعزيمة والإصرار على تقديم شيء نافع.

أما الذي سيظل يحصر دوره في التشكي من الواقع، ستمُرُّ عليه السنوات وهو ما يزال قابعا في إطار الشكوى فقط، بينما عليه أن يكسر هذا القيد، وأن يأخذ خطوات جدية للأمام، فمن المهم أن يحدد المرء ما الذي يود تحقيقه، وما الأمور التي يفعلها واقعيا لتحقيق أهدافه، ومن ثم يحدد الفجوة بين أمانيه وواقعه، ويسعى لردمها، فدون ذلك سيظل يعيش في الأوهام والأحلام ليصب جامَ غضبه على الأوضاع والظروف والواقع والآخرين من حوله، ومتخلِّيًا عن القيام بالأمور التي يمكنه عملها إن صدق وعزم على أمره.

إننا في عصر يمكن للمبادرات الفردية والجماعية المحدودة أن تحقق الكثير والكثير، كما أن المسؤولية الجماعية لا تَلغي المسؤولية الفردية، والتي نبَّه عليها الوحي، كما في قوله تعالى (فقاتل في سبيل الله لا تُكلَّف إلا نفسك وحرِّض المؤمنين، عسى الله أن يكفَّ بأس الذين كفروا، والله أشدُّ بأسا وأشدُّ تنكيلا).

الانتشار العسكري والأمن القومي المصري

محمود جمال



تنتشر الوحدات والتشكيلات العسكرية التابعة للجيش داخل حدود الدولة علي كافة الاتجاهات الاستراتيجية للدولة، لتأمينها من أي تهديد محتمل، وعندما يكون هناك اتجاه استراتيجي بعينه داخل الدولة من ناحيته تهدد الدولة بخطر أكبر كوجود عداوة بين الدولة والدولة التي تجاورها من تلك الحدود، يقوم جيش الدولة في تلك الحالة بنشر مكثف لقواته العسكرية في ذلك الاتجاه وذلك حفاظاً على الأمن القومي للدولة.

أولا : الجيوش الميدانية

يتكون الجيش المصري من جيشين ميدانيين وأربع مناطق عسكرية، وتوجد داخل الجيش أربعة أفرع رئيسية وهي: "القوات البرية-القوات الجوية-القوات البحرية-قوات دفاع جوي". ويبلغ عدد قوات الجيش المصري الرئيسية ٤٥٤.٣ ألف ضابط وصف وجندي، بالإضافة إلى ٨٧٥ ألف احتياطي. وتتوزع كالتالي:

١ الجيش الثاني الميداني:

يوجد المقر الرئيسي لقيادة الجيش الثاني الميداني بمحافظة الإسماعلية في نطاق الاتجاه الشمالي الشرقي للدولة المصرية، وتتمثل مهمة الجيش الثاني الميداني في تأمين الجزء الشمالي لمنطقة قناة السويس محافظة الإسماعلية ومحافظة بورسعيد.

٢ الجيش الثالث الميداني:

يتواجد المقر الرئيسي لقيادة الجيش الثالث الميداني بمحافظة السويس في الاتجاه الاستراتيجي الشرقي للدولة المصرية، تتمثل مهمة الجيش الثالث في تأمين المنشآت الداخلية في المنطقة الواقعة من الكيلو ٦١ طريق مصر السويس الصحراوي وحتى خط الحدود الدولية بطول ٢٦٠ كيلو متر إضافة إلى ٤٠٠ كيلو متر في المنطقة الواقعة من رأس محمد وحتى العوجه على الحدود مع "إسرائيل"، إضافة إلى محافظات جنوب سيناء والبحر الأحمر.



ثانياً : المناطق العسكرية

١ المنطقة المركزية العسكرية :

نطاق عمل قوات وتشكيلات المنطقة المركزية العسكرية تقع في محافظات القاهرة والجيزة والقليوبية، وتمتد إلى محافظات الغربية والشرقية والفيوم وبني سويف. ويوجد للمنطقة المركزية العسكرية عدة مقرات رئيسية في عدة مناطق.

٢ المنطقة الشمالية العسكرية: الإسكندرية

نطاق عمل المنطقة الشمالية محافظة الإسكندرية ومحافظة دمنهور، ومحافظة البحيرة، ومحافظة دمياط والمقرات الرئيسية للمنطقة العسكرية الشمالية.

٣ المنطقة الغربية العسكرية

نطاق عمل المنطقة الغربية يقع في محافظة مرسي مطروح، ويمتد إلى جزء من مجال محافظة البحر الأحمر، والمقرات الرئيسية للمنطقة العسكرية الغربية.

٤ المنطقة الجنوبية العسكرية

نطاق عمل المنطقة الجنوبية العسكرية محافظة أسيوط، وكل من محافظات "الأقصر وأسوان وسوهاج وقنا وأسوان والبحر الأحمر والمنيا".

ثالثاً : الوحدات الخاصة في الجيش المصري

يضم الجيش المصري العديد من القوات الخاصة والتي تضم العديد من الأفرع وهي: وحدات الصاعقة - وحدات المظلات - جهاز المخابرات والاستطلاع - الصاعقة البحرية - لواء الوحدات الخاصة، ومجموعات الضفادع البشرية التابعة للقوات البحرية، قوات التدخل السريع.

رابعاً :القواعد الجوية والمطارات العسكرية

لدي الجيش المصري عدد ٣٥ ما بين قاعدة جوية ومطار عسكري، تتوزع على كافة الاتجاهات الأربعة الاستراتيجية داخل الدولة المصرية، من بينها.

خامساً : القواعد البحرية المصرية

تتكون البحرية المصرية من ٧ قواعد بحرية وتقوم بنشرهم في المياه الإقليمية المصرية اللموجودة بالبحر المتوسط والبحر الأحمر.

سادساً : الرؤية العسكرية في توزيع تشكيلات الجيش المصري

انتشار التشكيلات العسكرية للجيش المصري علي كافة الحدود والاتجاهات الاستراتيجية طبقاً للعقيدة العسكرية للجيش المصري، يراها البعض أنها تتطابق وتتفاهم مع منظور الحفاظ على الأمن القومي المصري وحماية الدولة المصرية من كافة التهديدات، لذلك يراعي الجيش المصري تكثيف وجوده العسكري نحو الحدود الشرقية، وتوجد المقرات الرئيسية للجيشين الثاني والثالث الميداني بتلك الأطراف، وذلك بسبب أن المنطقة الشرقية متاخمة للأراضي الفلسطينية المحتلة "إسرائيل".



وقد خاضت مصر خلال العقود السبع الماضية أربعة حروب ضد إسرائيل، كانت الحرب الأولى عام ١٩٤٨ م، عندما شاركت مصر في الحرب مع فلسطين؛ وكانت الحرب الثانية عام ١٩٥٦ م فيما يعرف باسم "العدوان الثلاثي علي مصر"؛ إذ شاركت كل من فرنسا وبريطانيا في الحرب إلى جانب "إسرائيل". وكانت الحرب الثالثة عام ١٩٦٧ م؛ وبعد ست سنوات كانت الحرب الرابعة عام ١٩٧٣ م. وأدت تلك الحروب في نهاية المطاف إلى لجوء مصر و"إسرائيل" إلى طاولة المفاوضات والتي تمخضت عنها اتفاقية كامب ديفيد، التي وقع عليها الرئيس الأسبق أنور السادات عام ١٩٧٩ مع "إسرائيل" برعاية أمريكية؛ ولكن منذ ذلك التاريخ حتى وقت قريب كانت استراتيجية الجيش المصري ثابتة ولم تتغير، وكان التوزيع التنظيمي للتشكيلات والوحدات العسكرية يكثف من الوجود ناحية الشرق، عند محافظات السويس والإسماعلية وبورسعيد للحفاظ علي الأمن القومي المصري من أي تهديد يأتي من ناحية الشرق.



لمصر حدود مع ليبيا تمتد إلى ١١٥٠ كم، وقد زاد انتشار قوات وتشكيلات الجيش المصري التابعة للمنطقة الغربية العسكرية فضلاً عن أعداد كبيرة تابعة من قوات حرس الحدود، وتوجد أكثر من قاعدة جوية عسكرية بتلك المناطق. يفسر البعض زيادة الانتشار هذا لما تشهده ليبيا من انفلات أمني منذ عام ٢٠١١م، وذلك هو التفسير الرسمي، بينما يفسره مراقبون آخرون بالتغير الحاصل في عقيدة الجيش المصري والذي يترتب عليه انتقال نطاق عمله تدريجيا من منطقه جنوب القناة إلى الحدود الغربية، فقد أصبح الجيش المصري لا يرى تهديداً قادماً من جهة إسرائيل، بل يعد الجماعات المسلحة والإسلام السياسي العدو الأول والرئيسي لنظام السيسي.

مما يدلل على هذا نقل عمل جزء كبير من الفرقة ٩ مدرعات إلى منطقه الحمام، وكانت هذه الفرقة تتمركز في منطقة دهشور بالجيزة وتعاون الجيش الثالث الميداني في بعض عملياته، وتعد من أهم فرق المدفعية داخل الجيش المصري، وجدير بالذكر أن الفرقة ٩ مدرعات كان يتولى قيادتها العميد عادل رجائي الذي قُتل على أيدي حركة "لواء الثورة" في عام ٢٠١٦ م، وكانت أول فرقة عسكرية نزلت إلى الشوارع والميادين إبان ثورة يناير ٢٠١١ م.

أما من ناحية الاتجاه الاستراتيجي الشمالي للدولة المصرية، فتنتشر تشكيلات ووحدات الجيش المصري بشكل أقل من المنطقة المركزية والمنطقة الغربية، ولا تنتشر تشكيلات مدفعية ومشاة بشكل كبير في المحافظات التابعة للمنطقة الشمالية العسكرية، ويكتفي النظام بنشر قوات التدخل السريع الآن لمواجهة أي تظاهرات قد تشهدها المنطقة في أي وقت كان، وسُحبت القوات التابعة للمنطقة الشمالية خارج المحافظات، مع انتشار مكثف لقوات حرس الحدود علي الشواطئ الرملية، وهذا ما يفسره البعض بأن معظم الحدود في تلك الأطراف مائية، ولذلك تنشر القوات البحرية في نطاق المنطقة الشمالية بشكل كبير، وسلّح الجيش المصري على مدار السنوات الماضية البحرية المصرية بشكل استراتيجي نوعي، حتي يؤمن تلك المناطق الحدودية بشكل كبير، إذ تمتلك البحرية المصرية إلى وقتنا هذا ٣١٩ قطعة بحرية، وتأتي في المرتبة العاشرة عالمياً [١] .

ومع أن المنطقة الجنوبية العسكرية تُعد أحد ثغور الدولة المصرية، فإن تشكيلات وقوات الجيش لا تنتشر في ذلك الاتجاه الذي توجد فيه ٧ محافظات كبري ومناطق حدودية كمحافظة البحر الأحمر، ومثلث حلايب وشلاتين الحدودي مع السودان، وإنما يوجد فقط ب ٣ ألوية مشاه ميكانيكي ولواء مدفعية متوسطة المدي عدد ٢ لواء مهندسين (مياه وإنشاءات)[٢] ، ويرى بعض الخبراء أن عدم انتشار الجيش المصري بشكل مكثف في تلك المناطق يرجع إلى صعوبة التضاريس والجغرافيا العسكرية لتلك المنطقة الاستراتيجية، مما يصعب الوجود العسكري البري والمدفعي بشكل كبير، ويعوض ذلك التقصير في القوات البرية والمدفعية بالقواعد الجوية، حيث توجد بنطاق المنطقة الجنوبية ٩ قواعد جوية.

(١) البحرية المصرية في قائمة العشرة الأوائل، روسيا اليوم، تاريخ النشر ١٦ أبريل ٢٠١٨ م،تاريخ الدخول ٨٠ مايو ٢٠١٨ م، الرابط.

(١) اللواء يتكون من ٣-٦ كتائب بمعني أن يصل اللواء الواحد من ٣٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ فرد.

ولكن في المقابل، فإن طبيعة الجغرافيا في المنطقة الغربية العسكرية صعبة أيضاً وتوجد بها مناطق جبلية كثيفة مثل المنطقة الجنوبية، ومع ذلك يحرص الجيش المصري على الانتشار البري والمدفعي بنطاق المنطقة الغربية بشكل أكبر من المنطقة الجنوبية، وهذا ما يحلله البعض بأن الاتجاه الغربي يسبب تهديداً للدولة المصرية، كما يري النظام الحالي في مصر، بصورة أكبر من المنطقة الجنوبية، فمهما كانت تضاريس وطبيعة المكان يجب انتشار التشكيلات والتكتلات البرية والمدفعية العسكرية بشكل مكثف في تلك المناطق.



أما بالنسبة للانتشار العسكري للجيش المصري في نطاق المنطقة المركزية العسكرية "القاهرة الكبرى"، فيحرص الجيش على توزيع قوات المنطقة المركزية على غلاف العاصمة الكبرى لكي يكون قريباً من العاصمة، ويستطيع النزول إليها في أي وقت لمواجهة أي تظاهرات قد تحدث في أي وقت ضد النظام الحالي، فتوجد القوات بشكل مكثف في منطقة الهايكستب بالقاهرة ومنطقة الرماية ومنطقة دهشور بالجيزة، وتنتشر فرقة كاملة في العاصمة الكبرى تابعة لقوات التدخل السريع للانتشار في الميادين.

ختاماً:

تعرف العقيدة العسكرية بأنها "مجموعة من القيم والمبادئ الفكرية التي تهدف إلى إرساء نظريات العلم العسكري وعلوم فن الحرب، لتحدد بناء واستخدامات القوات المسلحة في زمن السلم والحرب بما يحقق الأهداف والمصالح الوطنية. "والنقطة العامة في تحديد العقيدة العسكرية هي وجود عقيدة على مستوى الدولة، وتسمى "العقيدة الشاملة للدولة" وفيها يحدد العدو الاستراتيجي للدولة، والتي تنعكس علي العقيدة العسكرية لجيشها، وبناء علي تعريف العدو يوزع الجيش قواته وتشكيلاته على جميع النواحي الاستراتيجية ويكون التكتل الأكبر عند الطرف الذي يأتي من خلاله التهديد الأكبر للأمن القومي.

لم تعرف مصر طيلة العقود الماضية إلا "إسرائيل" عدو اً استراتيجياً، فكان الجيش يكثف قواته عند الحدود الشرقية، لكن منذ مجيء السيسي رئيساً شهدت هذه العقيدة تحولاً واضحاً، إذ صارت ترى أن الإسلام السياسي هو عدو الدولة الاستراتيجي، فتغير توزيع القوات على المحاور الاستراتيجية تبعاً لذلك، وصارت تدريبات الجيش تركز على مواجهة الجيوش غير النظامية "حرب العصابات" كما في تدريبات "حماة الصداقة" بين الجيشين المصري والروسي، والتي عقدت مرتين على التوالي ٢٠١٦ - ٢٠١٧، وكذلك مناورات النجم الساطع التي استؤنفت ٢٠١٧ م، بعد توقفها منذ عام ٢٠٠٩ م، إذ ركزت الأخيرة على مواجهة التمرد في شمال سيناء.

أصبح الجيش المصري ينتظر "العدو" الذي يأتي من القاهرة، فنشر قوات التدخل السريع بشكل مكثف في قلب العاصمة الكبرى "القاهرة والجيزة والقليوبية" والإسكندرية، ووزع قوات المنطقة المركزية على غلاف العاصمة الكبرى، وأصبح موجوداً بكثافة في مناطق الهايكستب والرماية ودهشور بالجيزة. كما وضع قوات المنطقة الشمالية في مقرات على غلاف المحافظات لتكون قريبة من النزول إلى الميادين في وقت قصير.

وأقوى ما يؤشر إلى انقلاب عقيدة الجيش المصري وتحولها إلى النقيض ما يسفر عنه التعاون بين الجيشين المصري و"الإسرائيلي" في مواجهة التمرد بمحافظة سيناء، فضلاً عن المناورات العسكرية المصرية الإسرائيلية المشتركة في اليونان [٣] .

---

(١) موقع إسرائيلي: المناورة الجوية في اليونان رسالة إلى تركيا، العربي الجديد، تاريخ النشر ١٥ أبريل ٢٠١٨ م، تاريخ الدخول ٠٨ مايو ٢٠١٨ م، الرابط



تفكيك أدوات السلطة

(السيطرة على تدفق المعلومات)

د / عمرو عادل

هذا آخر مقال في
سلسلة تفكيك أدوات السلطة،
وهو حول حق السيطرة على تدفق المعلومات
بكل أنواعها التي احتكرته السلطة الحاكمة، وربما هو الأخطر
والذي يجعل المجتمعَ كتابا مفتوحا أمام السلطة، بل يمكن القولُ -مع التقدم التكنولوجي الهائل- أن المجتمع أصبح كتابا فارغا في بعض صفحاتِه وأصبحت صفحاتُه الأخرى المكتوبة قابلةً للمسح والتغيير بنسبة كبيرة طبقا لما تحدده السلطة.

والمعلومات هي أي بيانات عُولِجَتْ لتصنعَ وعيا وإدراكا ما، وبالتالي تُستخدم لتوجيه القرار، فالمعلومات هي المُدخلات للعقل التي يُنتِج بها مُخرجا بمنزلة قرار أو فعل أو رؤية، لذلك يمكننا القولَ أن السيطرة على تدفق المعلومات هو المسار الأقوى لصناعة الوعي والعقل وتحديد مسارات القرار والفعل لغالب المجتمع.

ومسارات تدفق المعلومات يسعى أي نظام مركزي للسيطرة عليها، وبالتالي مع مرور الوقت في غياب مسارات بديلة يُصبح العقل والوعي صناعةً احتكارية للنظام، ويتحول أفراد المجتمع أو حتى الكتل المجتمعية إلى مُنتج متوافق تمامًا مع رغبات النظام الفكرية والحركية.

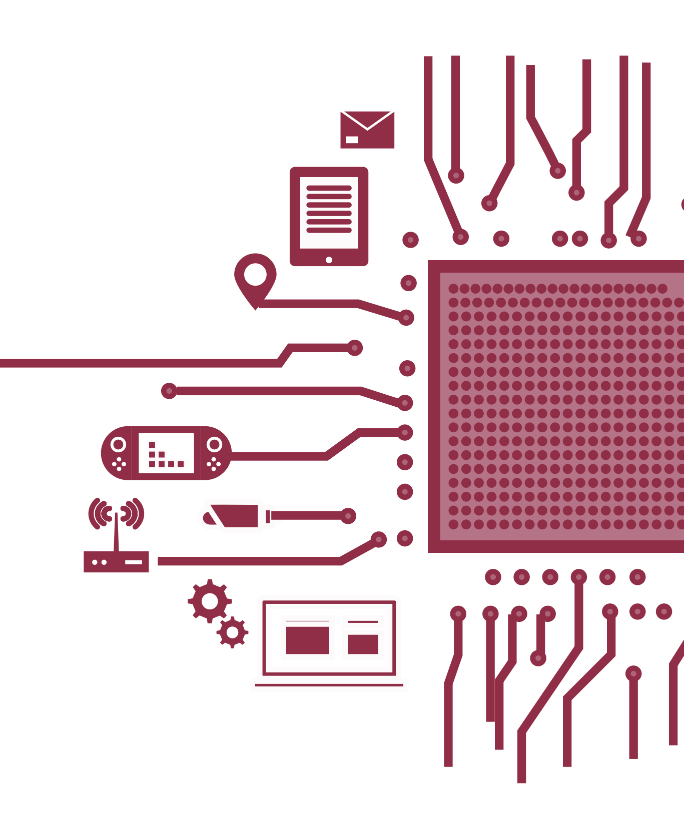
" وهذه واحدة من أكبر كوارث السيطرة المركزية الاحتكارية للنُّظم المستبدة، فالنظام يدمر الإنسانَ العاملَ الأعظمَ في التنمية والبناء، ويحاول تفتيت أي مركز بديل لصناعة مسارٍ معادٍ أو حتى مخالف، فيقوم بتأميم أو تحطيم أي مسار بديل، فهو الدولة الإله الذي لا يريد شريكا.

ورهان بعض القوى على وجود حد أدنى للوعي لا يمكن للبشر النزول عنه، هو رهان مخسور تحت الاحتكار الكامل للنظم الاستبدادية لمسارات تدفق المعلومات، وهذا ربما نوضحه لاحقا.

ومسارات تدفق المعلومات يمكن تحديدها في:

١- المؤسسات التعليمية (المدارس والجامعات).
٢- المؤسسات الثقافية (بيوت الثقافة والمسارح والسينما وغيرها).
٣- الإعلام المرئي والمقروء والمسموع.
٤- الأسرة والمجتمع وعلى رأسه المؤسسات الدينية.

أعتقد أن كل البيانات وما يليها من تصنيفها لتتحول لمعلومة تصل للعقل، لا يمكن أن تخرج عن واحدة من المسارات السابقة، ولذلك فإن النظام السلطوي يحاول السيطرة على كل هذه المسارات ليصبح العقل ملعبًا مفتوحًا للسلطة تُشكِّله كيف تشاء، ولمعرفة وسائل حصار أو تفتيت سلطة السيطرة على تدفق المعلومات ومساراتها ينبغي أولا تحديد كيفية عملها والنقاط المفصلية بها.



أولا : المؤسسات التعليمية

خطورة التعليم الذي يخضع لسيطرة الدولة أنه بالتبعية يخضع لسيطرة النظام الحاكم في الدول المركزية المستبدة، ففي الغالب لا يوجد فارق بين الاثنين في هذه الحالة، وفي مصر تُستخدم المؤسسات التعليمية لحصار العقل وترويضه ولإنتاج شيء نمطي محدد سلفا، وأَدَّعي أن هذا هو هدفُ التعليم النظامي في كل العالم الحديث، إلا أن الاستبداد والظلم المركزي يُنتج بالإضافة إلى العقل النمطي عقلا مشوّها، فالتحكم في طبيعة النظام التعليمي وعدد ساعات الحضور وجودة المعلمين ومهاراتهم وفوق ذلك كله المناهج التعليمية كلها أدوات طيعة للنظام في ظل دولة مركزية تحتكر نظم التعليم، وتسمح فقط بالتعليم الغربي البعيد عن صلب الهوية، وتحاصر كل ما يمكن أن يدعم بناء عقل أو فكر مغاير، فقد قامت السلطة بالتالي لإحكام السيطرة:

١- تأميم التعليم وإنهاء كل ما له علاقة بالتعليم خارج النظام الرسمي (الكتاتيب - المعاهد المستقلة) واستبدال بها مؤسسات تحت السيطرة منزوعة الهوية (الحضانة - الأكاديميات المتخصصة).

٢- تدمير النظام التعليمي الرسمي، حيث أن أي نظام تعليم جيد يقلل من الآثار السلبية للمركزية والتنميط البِنيوي داخل المؤسسات التعليمية، ويصبح النظام المنهار هو ماكينة لإنتاج عديمي الموهبة والكفاءة وتقِل جدا الاستثناءات المتميزة.

٣- وضع مناهج تعليمية تتوافق مع المخرجات المطلوبة من العملية التعليمية وهي في النظام المستبد أشبه بصناعة روبوت لا يعمل إلا كما وضعت برنامجه.

وهناك صعوبة كبيرة في تفكيك منظومة التعليم الحكومية، فقد أصبحت متجذرة في المجتمع. وكذلك هناك صعوبة في تغيير نمط التفكير للمجتمع بعد أن ترسَّخ في عقول الجماهير أن التعليم أحد وسائل الصعود الاجتماعي، كما قام النظام بتدمير كل المسارات التعليمية خارج المؤسسة الرسمية فأصبح يُغرِّدُ وحدَه.

ولتفكيك تلك المنظومة وتقليل أثرها الكارثي على المجتمع يجب :

١- الإيمان بالتعليم الموازي والاكتفاء بالذهاب للاختبارات بالمدارس.
٢- تكوين تجمعات مجتمعية للصغار (كالكتاتيب القديمة) لتعليم الأطفال والأولاد قيم مجتمعية حقيقية ووسائل إنتاج تعاوني.
٣- نشر فكرة فشل النظام التعليمي الرسمي وخطورته على المجتمع بين الجماهير وتشجيعهم على التعليم الموازي.



الكتاتيب قديماً

المؤسسات الثقافية والإعلامية:

هي أحد روافد إنتاج الوعي العام، ووجود سيطرة مركزية على مؤسسات الثقافة كالمسارح والسينمات والمكتبات العامة -ليس فقط من الناحية اللوجستية، لكن من الناحية الفكرية أيضا- يُمثِّل نقطةَ قوةٍ للنظام لفرض ما يريد، كما أن الدفع بسيطرة تيار فكري واحد مُوالٍ للنظام ويحمل عداءً للمجتمع، يَزيد من الأزمة.

وتُعدُّ الأعمال الفنية على وجه الخصوص كالمسلسلات والأفلام والمسرحيات أكثرَ وسيلة سريعة وفاعلة للتأثير بالمجتمع وتغيير عاداته وأفكاره وثوابته، ولا يمكن إنكار نجاح ذلك بالتعاون مع الوسائل الأخرى التي تُمهِّد الأرض لذلك التشويه، ولذلك يحرص النظام على احتكار هذه المسارات ويمنع أيَّ منافس له في هذا المجال.

وتتكرر الأزمة الخاصة بهذا المحور بوجود سيطرة مركزية للنظام عليه، تماما كمنظومة التعليم، ولذلك تبدو من الصعوبة منازعتُه في هذا المجال دون الوصول إلى رأس السلطة، وهناك أمر آخر أكثرُ أهمية، وهو وجود سيطرة مركزية على المؤسسة ومن الواجب تفتيت هذه السيطرة في حال نجاح الثورة لضمان عدم السيطرة على الوعي العام لاحقا.

وفي هذا الوقت يجب منازعةُ النظام في هذا المجال خاصةً مع الانهيار القيمي والمهني ووجود فرصة لدخول هذا المجال، سواءٌ بإنتاج أعمال فنية أو بالتوسع في مجال الترجمة لإعادة ضبط الوعي العام.



ويرتبط المجال الثقافي بالإعلامي، خاصةً في حال عدم وجود قدرة للوجود على الأرض سواءٌ في الشارع أو المنشآت الثقافية كالمسارح والمكتبات ودور العرض السينمائي. ولذلك تبدو الوسيلة الوحيدة المناسبة مرحليا لتوصيل الأفكار وصناعة الوعي هي الإعلام.

وتحت السيطرة المطلقة للنظام على المصادر الإعلامية، يجب على القوى المجتمعية عمل مسارات بديلة للوعي، وتُعدُّ مواقع التواصل الاجتماعي -بجانب القنوات- المنابعَ الرئيسة لهذا العمل.

ويمكن تحديد النقاط الخاصة الواجب فعلها في هذا الملف كالتالي:

١- إنتاج أعمال فنية تُعبِّر عن ثقافتنا وحضارتنا بشكل احترافي.

٢- وضع تصور لإدارة الملف الثقافي والإعلامي عند الوصول للسلطة بشكل مغاير للواقع الحالي.

٣- تطوير الكوادر البشرية في المجال الإعلامي وتطوير القنوات التليفزيونية المتاحة للوصول لأكبر شريحة ممكنة.

٤- الاستثمار الأمثل لمواقع التواصل الاجتماعي.

٥- إنشاء إذاعة، فهي أسهل وأرخص وسيلةِ تواصل، وقادرةُ على الوصول للجميع في كل مكان، وقادرةُ على الوصول للمناطق المحرومة من البث التليفزيوني والإنترنت في مصر.

ثالثا الأسرة والمجتمع بمؤسساته الدينية:

الأسرة هي البناء الأصغر في أي مجتمع. تعرَّضت تلك النواة لتأثير مدمر على مدى الخمسين عاما الماضية، وقلَّت مقاومة الأجيال بالتتابع مع الزمن، ووصل الحال بالكثير من الأسر المصرية إلى التغييب الكامل بوعي أو بدونه، وأصبح الجيل الثالث الآن -الكثير منه- يبدو منفصلا تمامًا عن ماضيه وهُوِيَّته، كما لعبت المؤسسات الدينية الرسمية -سواءُ الأزهر أو الكنيسة التي أصبحت مُؤَمَّمة تماما من الدولة والنظام- دورًا كارثيًّا في تدمير القيم والوعي لدي قطاعات واسعة من المجتمع.

وقد قام النظام بتدمير أو تأميم جزءٍ كبير مما بُنِيَ في العقود السابقة من مؤسسات مجتمعية حقيقية، خاصةً بعد انقلاب ٢٠١٣.

إن هذا الوضع المأسوي في مجال صناعة الوعي أنتج مجتمعا مشوّها جدًّا، فاقدًا للبوصلة والهُويّة، ويبدو أن المحاولات المتتابعة في هذا المسار هي الأكثر صعوبة في محاور تفتيت السلطة كافة، وتبدو هي الأكثر مركزية في سيطرة النظم على الشعوب، ولذلك فإن الإصلاح الجذري في هذا الملف يبدو غير ممكن إلا بالوصول إلى السلطة وتفكيكها من عَلُ وعودة الأمور إلى نصابها بالمشاركة الفاعلة للمجتمع ومؤسساته في كل هذه الملفات بعيدا عن مركزية الإدارة والتوجيه.

أما في الوضع الحالي فإن المزاحمة قدْر المستطاع في كافة هذه المسارات أمرٌ واجب وحتمي بأقصى ما يمكن من الوسائل، وبالتأكيد كل ذلك يحتاج إلى شيء من التنظيم، فهذه الأمور لن تأتي وحدها ولن تُنتَج من العدم، والجميع مهيأ بدرجة ما للمشاركة في هذا العمل الكبير، سواءُ تفكيكُ السلطة أو مشروعُ المقاومة الشعبية، وهما المحوران اللذان تحدَّثتُ عنهما عبر عدة مقالات متتابعة، وهذا يحتاج إلى بناء تنظيمات بعدة أشكال ليمكنها إنتاج كل هذا العمل.



إن تسليم كل مفاتيح السلطة والقوة للنظام وَضَعَنا في موقفٍ شديدِ الضعف والحرج، وتحتاج الجماهيرُ إلى بناء نفسها -ربما من الصفر- حتى تتمكّن من التحرُّر، والموضوع التالي هو كيفية بناء المسارات التي يمكنها تحقيق ذلك، وهو موضوع مهم قد يكون عنوانُه الكبير "كيف تبني تنظيما ثوريا؟".



مذكرات الشيـخ رفاعي طه (٣)

أول اصطدام بالنظام، وأول صدمة فكرية، وأول تفكير فـي إقامـة دولـة إسلاميـة

— سجلها عنه وحررها: محمد إلهامي —

أنهيتُ المرحلة الابتدائية وكنت الأول على مستوى الصف السادس الابتدائي بالمدرسة، والعشرين على مستوى المحافظة، كانت درجاتي تجعلني في المركز العاشر ولكن المتكرر من المتفوقين أنزلني إلى المركز العشرين، وكانت عادتهم في ذلك الوقت أن يأخذوا المتفوقين إلى "تنظيم البراعم" الملحق بالطلائع، وكانت الطلائع ملحقة بالاتحاد الاشتراكي العربي، فدَخلتُ تنظيم البراعم في الصف الأول الإعدادي وبقيت فيه فترة، فلما انتهتْ المرحلة الإعدادية دَخلتُ الطلائع وبقيت بها حتى الصف الثالث الثانوي، ثم دخلتُ منظمة الاتحاد الاشتراكي العربي،

وكنت مسؤولَ تثقيف وحدة بندر إدفو في المنظمة، وعندما دخلت الجامعة انضممت إلى الحزب الشيوعي المصري لفترة، وبقيتُ فيه طوال فترة السنة الأولى في كلية التجارة، ولمست ظاهرة الفساد الأخلاقي إذ كنت متدينا بطبيعتي، وكنت قد التحقت بطريقة صوفية بعد أن أنهيتُ المرحلة الإعدادية.

أذكر حين كنت في الصف الثالث الإعدادي كان معنا زميل اسمه محمود حسن عبد الرسول، كان في عائلته على ما يبدو أحدٌ ممن يفهم السياسة أو أكثر، أو كان متدينا، المهم أن محمود حسن كان يقول لي:

- لا بد أن نغيِّر جمال عبد الناصر، هل تعلم كيف أمسك جمال عبد الناصر بالحكم؟

- كان ضابطا بالجيش وقام بثورة ثم حكم البلد.

- يمكننا أن نفعل مثله.

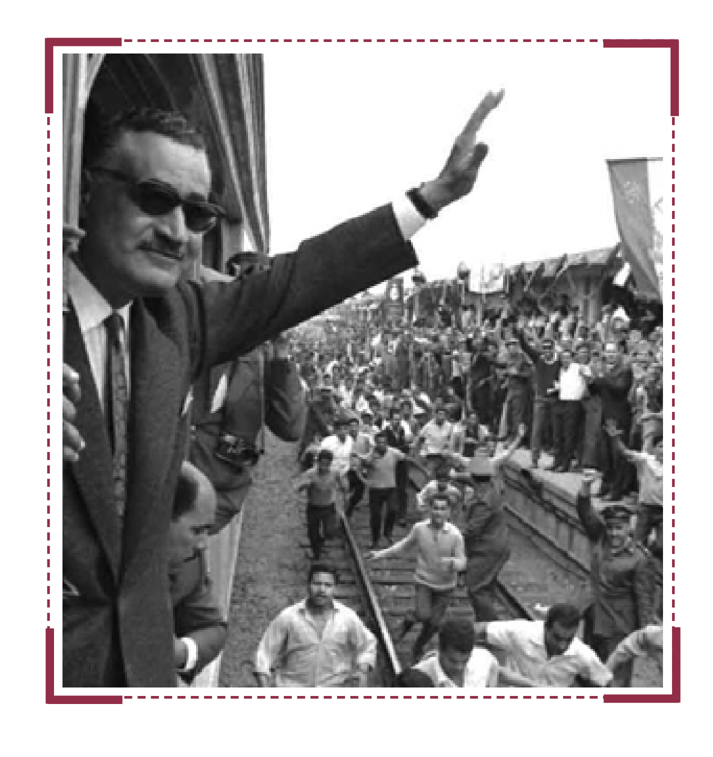
- ولماذا نفعل؟ هو رجل جيد.

- لا، ليس هو كذلك.

- لماذا؟ في الطلائع يعلموننا أنه رجل جيد.

وأذكر له بعض الخطب.

- لا، ليس كذلك.



مما أذكره من تلك الأيام أننا انتقلنا من مدرستنا إلى مدرسة أخرى أفضل أنشأها مصنع السكر، كانت مدرسة نموذجية نظيفة وبها فناء واسع على النمط الحديث وبها حديقة وبالحديقة صوبة لزراعة الورد، وجاءت مُدَرِّسة تدرس لنا مادة "التربية الزراعية"، وكانت ملابسها قصيرة جدا "الميني جيب والميكرو جيب" كما هي عادة أهل المدن في تلك الفترة، وأغلب الظن أنها من الوجه البحري وإنما جاءت في سياق المساكن التابعة لمصنع السكر، وهذه المساكن كانت كبيرة كأنها مدينة سكنية وكنا نسميها "المستعمرة"، وكانت كأنها قطعة من خارج البلد. وذات يوم كانت تعلمنا زراعة الورد، فكانت تميل إلى الأسفل فانكشفت ملابسها الداخلية، فصرختُ فيها:



- هذا عيب جدا، لا ينبغي أن تنكشف ملابسك الداخلية

ففزِعتْ واعتدلت وقالت لي:

- إيه يا رفاعي، حد يقول للمُدَرِّسة كده؟.. كسفْتني (أحرجْتني) أمام التلاميذ يا رفاعي!

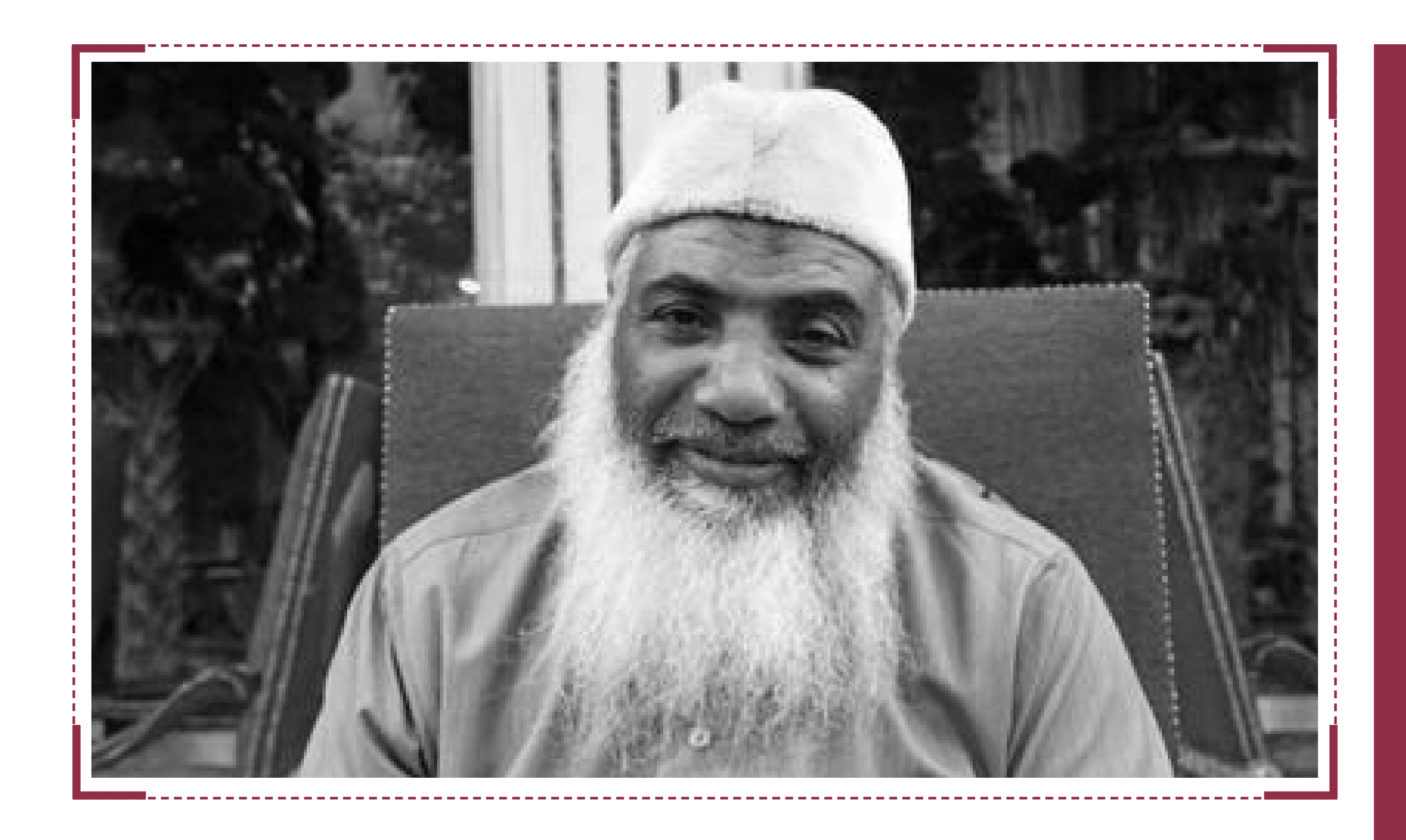
- هذا لا يصح، هذا عيب جدا.

- هل إذا أتيتُ إلى المدرسة بملابس طويلة تضحكون عليَّ (تهزؤون وتسخرون مني)؟"

- ولماذا نضحك عليكِ؟ إن ملابس أمي تصل إلى الأرض.

"ثم فيما بعد أخبرتْ ناظرة المدرسة، ونصحَتْها الناظرة أن ترتدي ملابس طويلة، ثم جاءت الناظرة فحدثتني وقالت "عيب أن تقول هذا للمدرسة"، ولكنّه حديثُ تقديرٍ أكثرُ من حديث لوم وعتاب. وهذه الناظرة كان زوجها مأمور مركز إدفو، وكان برتبة عقيد واسمه عبد المنعم حمّودة، وكان لها بنت اسمها عزة، وكانت تمازحني أحيانا وتقول: سأزوجك من عزة!

وكان في المدرسة مدرس للغة الإنجليزية يدعى محمود عبد الرحمن، وهذا الأستاذ من أسباب تأخر اللغة الإنجليزية في المدرسة، فلقد كان يكتب الإنجليزي بالحروف العربية، فمثلا كلمة book يكتبها "بوك"، ولم أدرك فداحة هذه الطريقة إلا بعد أن كبرت. وكان هذا الأستاذ حريصا على أن يعطيني درسا خصوصيا، وكنت أقول له: إنني متميز ولا أحتاج إلى درس خاص وأنا الأول على المدرسة دائما. فنشأت بيني وبينه ما يشبه العداوة، حتى أنه جاءنا ذات يوم فأخبرنا أنه سيمتحننا غدا في حفظ قصة باللغة الإنجليزية تقع في صفحتين ونصف، وحاول الطلاب أن يعترضوا بضيق الوقت، لكنه أصرَّ، وشعرت أنه فخٌ مُعَدٌّ للانتقام مني، وتجنُّبًا لما قد يحدث فقد بذلت جهدي فحفظتُها عن ظهر قلب، لكن جاء الغد فلم يمتحنَّا ثم الذي بعده ثم الذي بعده، وكنت أطالبه بأن يختبرنا في القصة فيتجاهلني أو ينهرني بقوله "هذا ليس من شأنك"، فلما جاء اليوم الرابع، فاجأنا بالامتحان، وسأل بقية الطُّلاب قبلي وكانوا قد نسوا ما حفظوه منها، فمن لم يستطع تسميع القصة أبقاه واقفا بانتظار العقاب، حتى إذا وصل إليَّ سمَّعتُها له دون أي خطأ، فقال مغتاظا "يخرب بيت أبوك!"، ولم يعاقب أحدا من الطُّلاب، ولو أني أخطأت لعاقبنا جميعا فلا يَظهر أنه عاقبني منفردا."



» لم أكن أستفيد من حصة هذا الأستاذ، وكان بالمدرسة أستاذة أخرى نصرانية اسمها "نادية" وكانت جيدة، فكنت أنتهز الفرص فأذهب إليها في وقت الراحة لتدرسني، وكانت تشعر أنني مجتهد، فضبطني هذا الأستاذ يوما معها وهي تشرح لي الدرس الذي كان يشرحه، فوبخني وضربني بالعصا، لكنني أمسكت بالعصا وصِحتُ في وجهه: لن تضربني مرة أخرى، فظهر أننا نتشاجر، ولما شتمني بأبي شتمته بأبيه، ثم حضر أستاذ آخر فأخبره أني مريض بالربو، وحضرتْ الأستاذة فوزية ناظرة المدرسة فلامته وهدَّأتني فقد بدأت أزمة الربو في الظهور.

» حضرتُ مرتين حفلات أوائل الطلاب على مستوى المحافظة، ومما أذكره أيضا تلك المسابقة التي خسرناها من مسابقات المدارس حين كنت في الصف الثالث الإعدادي، وكانت مسابقات المدارس تجري بانتخاب مجموعة من الطلاب يمثلون مَدْرَسَتَهم ثم تُطرح عليهم الأسئلة، فيتميز بعضهم عن بعض، وقد نجحنا في الحصول على المركز الأول على مستوى أسوان، ثم كان ينبغي أن ننافس على مستوى الجمهورية، لكنني أخطأت في الإجابة عن سؤال "٢٧ رجب" فسارعت بالقول: "ليلة القدر"، اختلط عليّ الأمر بين ٢٧ رجب و٢٧ رمضان، ثم سرعان ما استدركت قائلا: الإسراء والمعراج، لكن الممتحن كان قد سجَّل الإجابة الأولى، وبهذا خسرنا وتفوقت المدرسة المنافسة علينا، خصوصا وقد فازوا علينا في مسابقة الغناء.

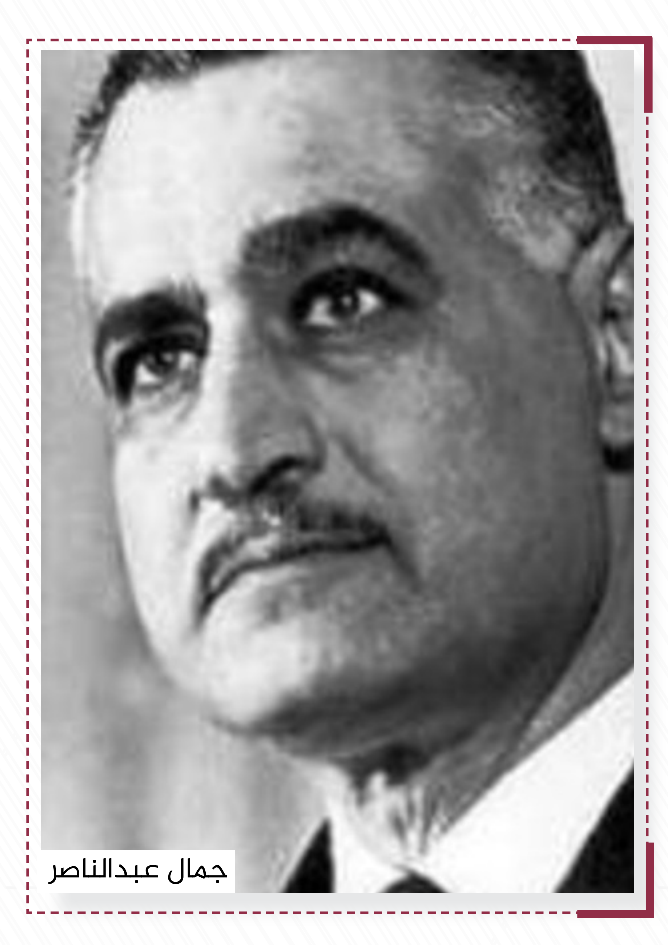
وفاة عبد الناصر

أتذكر جيدا يوم وفاة جمال عبد الناصر، كان الحزن يخيم على مركز إدفو كله، حتى إن امرأة ألقتْ بنفسها من الطابق الثالث حين سمعت خبر موته، وخرجنا جميعا من المدارس نبكي بكاء هيستيريا، وكنت أبكي بحرقة!

لقد كان دخولي منظمة الطلائع من أسباب تعلقي الشديد بعبد الناصر، كنت أحفظ خطبه عن ظهر قلب، إذ كنتُ حينئذ قويّ الحفظ سريعَه، فلذلك بكيته بكاء شديدا ومُرًّا. وكان الناس يحملون نعشا فارغا يجوبون به الشوارع، كأنهم بجنازتهم الرمزية هذه يشاطرون الجنازة الحقيقية في مصر.

مرَّ يوم ثم الثاني في حالة الحزن هذه ثم قدر الله لي أن أتحول تحولا شديدا، فعند انتهاء الجنازة في مركز إدفو، وكنت حينئذ في إدفو لكون مدرستي الثانوية هناك، صار الناس يعودون إلى بيوتهم، فشاء الله أن مرَّ بي أستاذ التربية الرياضية في المدرسة الإعدادية محمد الشاهد فرآني، وسألني:

- ما بك يا رفاعي؟ لماذا تبكي؟
- هل هذا سؤال؟
- نعم، أسألك لماذا تبكي.
- أبكي جمال عبد الناصر طبعا.
- لا، أنت لا تبكي جمال عبد الناصر.
- فسألت مندهشا : كيف؟! لماذا لا أبكي جمال؟
- من أين لك أن تعرف جمال عبد الناصر حتى تبكيه؟
- هل يوجد أحد لا يعرف جمال عبد الناصر؟
- إنما رأيتَ الناس تبكي فبكيت، فلا تعاند!
- فانتبهتُ لهذا المعنى لأول مرة وسألته: إذن ألستَ حزينا على جمال عبد الناصر؟
- لا، لستُ حزينا.
- كيف ذلك؟
- تعال معي وسأشرح لك: لماذا لست حزينا عليه.


جمال عبدالناصر

مضيت مع الأستاذ محمد، وكان من حي السيدة زينب في القاهرة، فقال:

- أنت كنت معي مدة سنتين في المدرسة الإعدادية، وأنا أحبك، فأنت شاب متدين، ولهذا فإني أريد أن أُسِرَّ لك بأشياء لكن لا تخبر بها أحدا. لقد كنتُ ضابط احتياط في حرب اليمن، هل تعلم يا رفاعي أننا كنا نُحَزِّم المساجد بالديناميت ثم نفجِّرها فوق رؤوس الناس أثناء صلاة الجمعة؟! هؤلاء الذين نقتلهم ونفجرهم كانوا مسلمين، هكذا كانت تأتينا الأوامر العسكرية!

- ولماذا تطيعون هذه الأوامر التي تأمر بقتل الناس وهم يصلون الجمعة؟

- لقد أردنا أن نهزم ثورة اليمن، خرجنا من مصر وذهبنا للحرب لأجل هذا الغرض.

- وما ثورة اليمن؟

فحكى لي عن الثورة، وعن عبد الله السلال والانقلاب الذي تم على الإمام أحمد البدر وأن أحمد البدر كان ملكا صوفيا وشيعيا من الزيدية، وأن جمال عبد الناصر أراد الوقوف مع الضباط لتكون مثل "الثورة في مصر". ثم قال:

"جمال عبد الناصر هذا مجرم، وليس زعيما كما يقال وكما تسمعون في المدارس، ولا يحب الدين. أنا من الإخوان يا رفاعي وأبي مات في السجن، مات في مذبحة طُرة حيث اقتحموا على الناس الزنازين وقتلوهم".

كان في غاية التأثر، مما أثَّر فيّ كثيرا، فسألته:

- معنى هذا أن جمال عبد الناصر سيئ؟

- كلمة "سيئ" لا تكفي لوصفه.

- فلِمَ يا أستاذ لا تخبرونا بالحقيقة كل هذه الفترة؟

- لا نستطيع أن نقول هذا، وإلا أُلقينا في السجون، الآن يمكن أن نقول هذا لأنه مات، أما ما قبل ذلك فلا يمكن.

"وهكذا حصلت المفارقة، اليوم الذي كنت أشد ما يكون حزنا على عبد الناصر هو اليوم الذي أمسيت أبغضه أشد ما يكون البغض، انقلب الحب بغضا بنفس الدرجة!"

جزى الله هذا الأستاذ محمد الشاهد عني خير الجزاء، كان له عظيم الأثر في أن يتحول مساري كثيرا، لا أقول بأني شهدتُ تحولا جذريا إذ أنني بقيت بعد هذه الصدمة في منظمة الشباب الملحقة بالاتحاد الاشتراكي العربي، وبقيت كذلك في الطريقة الصوفية التي كنت قد انتسبت إليها.. لقد تم تحولي الجذري بالتدريج!



» لم أفكر أبـدا فيما إن كـان كلامـه كذبـا أو مبالغة، لقد سلَّمت بما قال، كنت أحبه أستاذًا وكانت علاقتي به طيبة، وكان كذلك يحبني ويحترمني ولم يكن يتعامل معي بصفتي تلميذ بل كشاب ناضج، وكنت أستشعر دفء العلاقة بيننا، كما هي بيني وبين كثير من الأساتذة في المرحلة الإعدادية والثانوية، إذ كانوا يعاملونني كصديق، لذلك لم أفكر في أنه قد يكذب عليّ أو يخدعني، إلا أنني لكي أستوعب هذا الكلام اضطررت إلى سؤال أساتذة آخرين، ولم تكن أسئلة مباشرة إنما جاءت عفْويا في سياق أحداث أخرى.

» بعد هذه الجِلسة مع الأستاذ محمد الشاهد ذهبت إلى بيتي ودخلت في بكاء شديد، شعرتُ أننا نُخدَع، وأنه من الضروري أن تتغير هذه الأحوال، وتذكرت ذلك الكلام القديم الذي كان بيني وبين زميل المقعد في المدرسة الإعدادية محمد عبد الرسول حين كان يقول: يجب أن نقيم دولة إسلامية، نفعل مثلما فعل جمال عبد الناصر، ندخل الكلية الحربية، وننفذ انقلابا عليه!

» وقتها لـم أُعطِ هــذا الكـلام كثيـرَ اهتمام، لكن بعد الذي قاله الأستاذ محمد الشاهد صرت أهتم به وأتذكره، لا سيما وأنا في المرحلة الثانوية، أي أنه بالإمكان بعد سنتين أن أدخل الكلية الحربية ثم ننقلب على عبد الناصر ونقيم الدولة الإسلامية، وبطبيعة الحال لم يكن في ذهني شيء واضح عن طبيعة الدولة الإسلامية، إنما هي أشواق طالب متدين وإن لم يكن لديه علم شرعي.. مجرد طالب في الصف الأول الثانوي.

بؤس العالم | يسرا جلال



دون سابق إنذار.. اقتحم (الأوبرجنيك) قريتنا.. تمامًا كوحوش الأساطير يرتدون مُسُوحًا سوداء، ويمتطون خيولًا ضخمة، علَّقوا على صهواتها رءوسًا مقطوعة لكلاب.. كانوا (كلاب القيصر) بحق.. يُدينون له بولاء لا يتراجعون فيه، حتى إنه يختبرهم فيأمرهم بقتل آبائهم وزوجاتهم فيُنفذِّون دون نقاش ولا تردد..

يبدو أن (إيفان الرهيب) قرر إنهاء مشكلة قازان.. وللأبد.

تعاهدنا على الدفاع عن قازان ولكنّ الخان [الحاكم] من أنصار الروس، والروس مسلَّحون ونحن عُزَّل إلا من الشجاعة.. وحدها الشجاعةُ سلاحُنا.. شجاعةً لم تنجح في منع قوات القيصر من الانسياح في سهلنا.

يُعذِّبون من سقط في أيديهم.. يقذفون بهم في قدور الماء المغلي الضخمة.. يُعلِّقون أئمة المساجد على خوازيق نصبوها وأشعلوا النار تحتها.. لم يبق أمام الناجين سوى الفرار من (كلاب القيصر)..

****

الذئب الصغير (زابيفاكا) اُختير ليكون تميمةَ كأس العالم المُقامةِ بروسيا ٢٠١٨، وذلك بعد نجاحه في اجتياز مراحل التصويت التي أُقيمت على شاشات القنوات الروسية..

ويتميز (زابيفاكا) بفِرائه البُنِّي والأبيض، ويميزه أيضًا قميصه الذي يحمل ألوان العلم الروسي، الأبيض والأحمر والأزرق..

ويبدو (زابيفاكا) -الذي تُشعُّ عيونُه الزرقاء الطيبة فرحًا وسِحرًا وثِقَةً- وجهًا جديدًا لروسيا التي تفتح ذراعيها للعالم من جديد، لتُعيد إلى الأذهان إرثها الثقافي والحضاري الذي غيَّر وجه الدنيا.. واجتمعت الأمم على تقديره..

****

اجتمع كبار رجال التتر في منزلنا، وبينما علا نحيب النساء، ارتفع صوت الرجال في الباحة..

كان أحدهم يحاول إقناع الجميع بالتوقف عن الثورة، فالروس وحْشيُّون ويبدو أنهم تواصلوا مع الإسبانيين ليتعلموا منهم طرق التنكيل بالمسلمين.

« تحدث بصوت هادئ مُجبِرًا الجميع على الصمت ليتمكَّنوا من سماعه: "مواجهة الروس تعني إبادة الإسلام في أراضي نهر الفولغا. أجهزوا حتى اللحظة على أكثر من ٣٥٠ ألف تتري.. دعوهم يسيرون في خطتهم، لنتظاهر بقبول الأورثوذكسية.

« قاطعه صوت شيخ باك:

ومدارس القرآن التي صادروها والمساجد التي أغلقوها ونقلوا ملكيتها للقيصر في موسكوف التي كانت يومًا ما تدفع الجزية لبركة خان أمير التتر!

« رد عليه الرجل بهدوء:

يا حاج، يبدو أنها المرحلة المكية.. سنُخفي إسلامنا وقلبنا مطمئن بالإيمان..كيف لنا أن ندفع الضرائب التي يفرضونها على المسلمين؟.

" اتسعت عينا الشيخ متسائلًا: "وتتنصر؟!"

إنهم يختطفون أبناءنا ويُنصِّرونهم قسرًا، ويفرضون على المسلمين تجنيدًا إجباريًا ويعفونه منه إذا تنصَّر.. فلنعلن أننا تنصرنا ونكتم إسلامنا وحينها نتمكن من تربية أولادنا على الإسلام حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.. هدم الروس مساجدنا وهاجموا قرانا ولن نتمكن من الدفاع. "

****

تمكن مدافعو أسود الأطلسي من إحراز هدفين نظيفين في مرمى ساحل العاج لتتأهل المغرب للمرة الخامسة للعب في كأس العالم.

وقد شهدت شوارع الدار البيضاء وطنجة احتفالات عارمة لشباب مغربي رسم النجمة المغربية الخضراء على وجهه والتحف بالأعلام في كرنفال، بدا وكأنه فاتحة الاحتفالات المغربية بالانتصارات في كأس العالم روسيا ٢٠١٨ .

****



حاول (دولية أصلانوف) رفع صوته الواهن جراء المرض مُشيحًا بيد الطبيب الروسي قائلًا: ”لا أريد مساعدة من ملحد فكل شيء بيد الله“، قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة [1].

صدمت عبارة (دولية) رفاقه في الكومسومول (رابطة الشباب الشيوعي) وسادت التساؤلات والشكوك! هل كان (أصلانوف) مسلمًا؟ كيف نجح في اخفاء إسلامه طوال هذه الفترة؟ هل كان يخدعنا طوال هذا الوقت؟

دفع إسلامه محققي الحكومة السوفيتية لتتبع أمره، وتوجه المحققون إلى مقهى كان يرتاده، واكتشفوا وجود مدرسة لتعليم القرآن للمراهقين،وعندما اقتربوا من المقهى سارع روادها في إخفاء صحائف القرآن والكتب العربية، ولكنّ المحققين أشهروا الأسلحة وألقوا القبض عليهم جميعًا. ومع استمرار التحقيقات أفصح أحد المتهمين بوجود قبوٍ تحت الأرض، وكشف عن نيتهم في صيام رمضان الذي يحل قريبًا.

****

(١) [تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ص٤٠٩، د.إسماعيل ياغي، محمود شاكر، دار المريخ. الرياض]

كيف يمكن لشخص أن يتدرب صباحًا دون مياه؟.. ليس منطقيًا أن يخوض أي شخص تدريبات دون طعام.

كان ذلك ما قاله مدرب المنتخب المصري (كوبر) ردًّا على سؤال وُجِّهَ إليه في مؤتمر صحفي دار حول استعدادات المنتخب لخوض سباق كأس العالم.

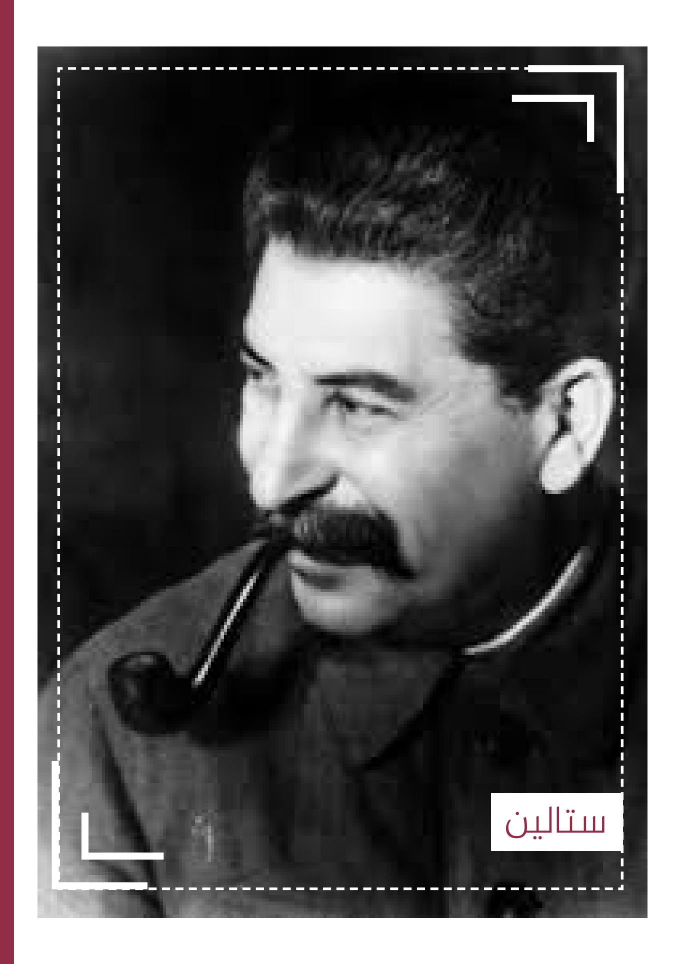
كما ذكر أن اتحاد الكرة سيبحث الأمر مع السلطات الدينية المسئولة من أجل استصدار فتوى تُبيح للاعبين الإفطار في رمضان [٢].

****

أشهد الله أني حذرتهم من التعاون مع النازيين..

وماذا كان بأيدينا أن نفعل؟ كنّا كالمستجير من الرمضاء بالنار.. لواء الملحد ستالين أو صليب هتلر المعكوف ! فرَّ تتار القرم من جيش ستالين الأحمر ليُكوِّنوا فيالق كاملة في الجيش الألماني.

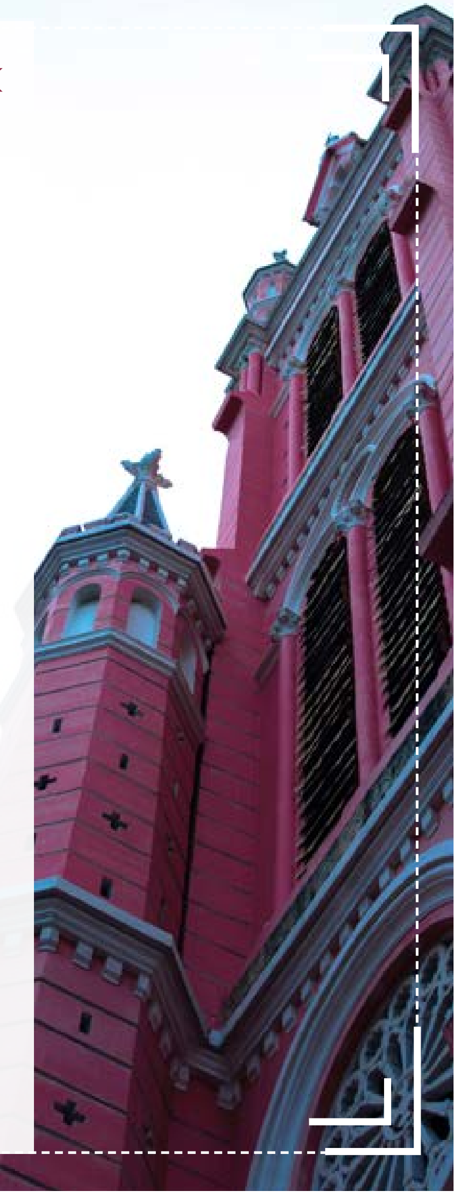
المنتصر سيسحقنا لابد.


ستالين

» كالكلب الشرس انتقم ستالين، حرق المصاحف وهدم المساجد وقتل العلماء بعد أن أوقفهم صفوفًا ، أما رجال الدولة فقد عذبوهم حتى المــوت.. دقـوا في رؤوسهم المسامير حتى انفجرت.. وأصدر أوامره بتهجير من بقي إلى سيبريا، سنموت متجمدين في البرد هناك..

» الروس يكرهوننا، يحقدون على الإسلام.. روسيا القيصرية وريثة القسطنطينية الأورثوذكسية حاربت المسلمين، وروسيا الشيوعية الملحدة تحاربهم .. أجزم أننا لن نبقى هناك في سيبريا على قيد الحياة..

****



« فرصة العمر..

سافر وشجع منتخب الفراعنة وباقي المنتخبات العربية في أقوى ماراثون رياضي..

ينصح الخبراء العاملون في السياحة بالمسارعة في حجز رحلة طيران قبل بدء كأس العالم بمدة كافية، تجنبًا للارتفاع الجنوني المتوقع في الأسعار.

قد تكلفك الرحلة ١٤ ألف جنيهٍ مصريٍّ فقط ولكن الحياة في روسيا غالية، ولذا ننصح بضرورة اعتماد مبلغ مالي كبير لبنود تذاكر المبات والسياحة في روسيا.. وتُقدِّم بعض الشركات السياحية عروضًا تشمل أسعار التذاكر والانتقالات داخل روسيا بمبلغ يصل إلى ٣٠ ألف جنيه مصري.

فرصتك مشاهدة الكريملين عن قرب وزيارة المنتجعات الصحية في روسيا.. اتصل الآن..

****

قصف السوخوي الروسي أصبح حديث الصباح والمساء..لم يعد هناك مساء فالفسفور الأبيض يضيء الليل بوميضه لنصحو على هلع لأطفال يُسيل الزَّبَدَ من أفواههم الصغيرة.
هجرنا دارنا في البوكمال وعبرنا الفرات فِرَارًا من القصف

رفض والدي ترك الدار قائلًا: " تغريبة فلسطينية جديدة.. إذا خرجنا لن نعود."

يبدو أن المرء يزداد عناده مع تقدمه في السن .. ولكن مع اقتراب القصف من منطقتنا وافق والدي على إخلاء الدار.. لننجو بفضل الله من قصف روسي ضربها فور مغادرتنا .

كنّا قد خبَّأنا أغراضنا في مخابئ حفرناها تحت الأرض خوفًا من (التعفيش) [السرقة].
بعد أن هدأت الأوضاع أرسلتني أمي للاطمئنان على الدار، وكذا متاعنا المدفون تحت الأرض.

تحطمت دارنا وسُوِّيت بالأرض واحترق متاعنا تمامًا، لم يحرقه قصف الطيران الروسي، بل أشعل فيه جيش الأسد النيران فقد تعهد بوتين ألا يشارك في العمليات البرية، وأعلن اكتفاءه بالدعم الجوي ضد التنظيمات الإرهابية وأوكل مهمة (التعفيش) لجيش الأسد.

****



يبدو أن منتخب الأسود الثلاثة سينسحب من كأس العالم روسيا ٢٠١٨، حيث هددت الحكومة البريطانية بالانسحاب من كأس العالم حال ثبوت تورط الحكومة الروسية في محاولة تسميم العميل الروسي المزدوج (سيرغري سكريبال)

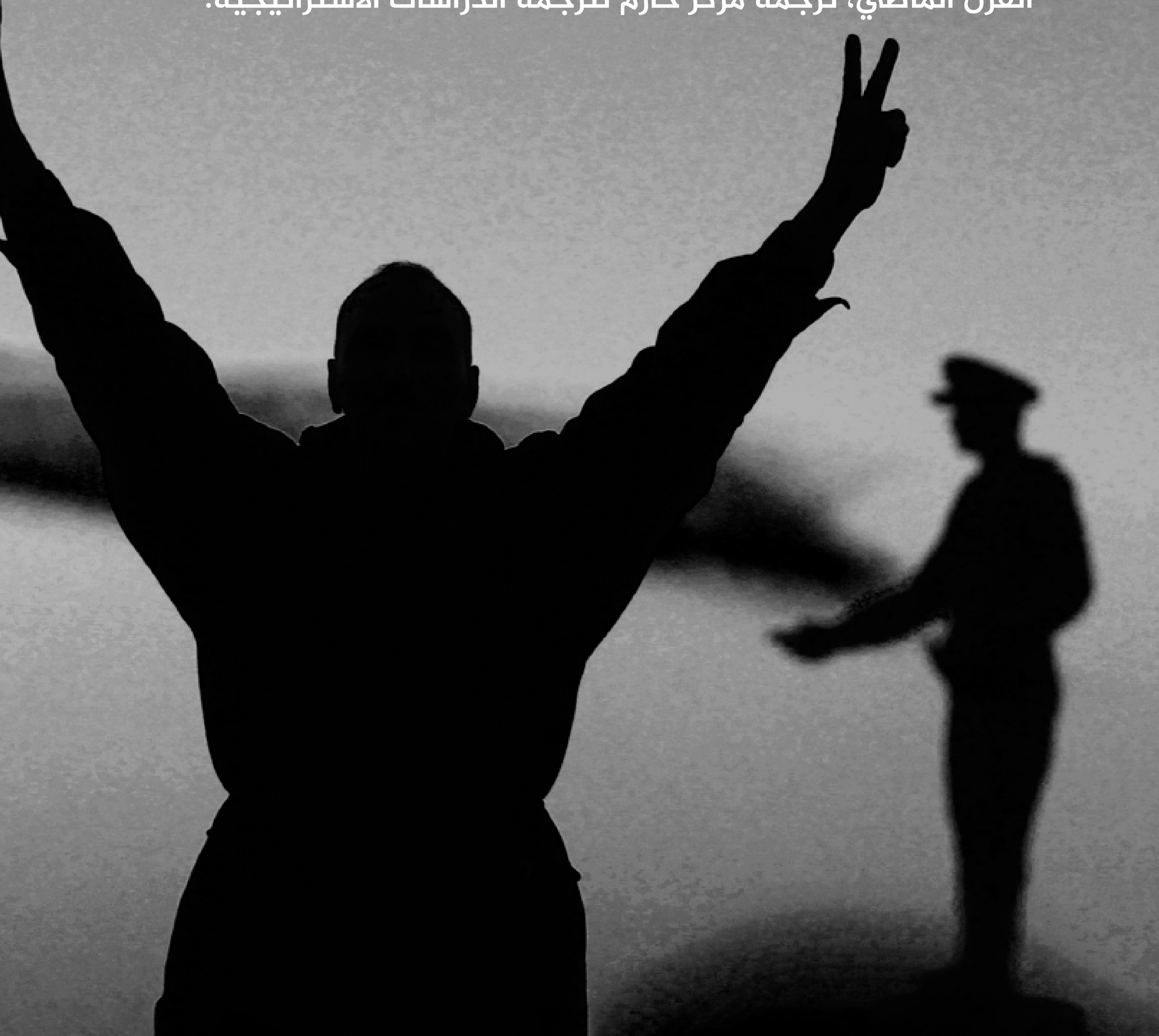
في سياق متصل صرح رئيس اللجنة الروسية المنظِّمة لكأس العالم أن الافتتاح لن يكون كلاسيكيًّا مشابهًا لما سبقه مِن بطولات، وأنه سيكون على مستوى عال من الإبهار. إبهار يليق بالساحرة المستديرة..

ترجمات حصرية

تطوير الشرطة المحلية

مركز حازم

ننشر مقطعا من "الدليل الميداني للجيش الأميركي لمكافحة التمرد"، والشهير باسم "دليل بترايوس"، ويتناول المقطع الدروس المستفادة من تجربة بريطانيا في مواجهة أحد التمردات الشيوعية بماليزيا منتصف القرن الماضي، ترجمة مركز حازم لترجمة الدراسات الاستراتيجية.



تطوير قوة أمنية ماليزية

في عام ١٩٤٨ بدأ الحزب الشيوعي الماليزي، والذي يعود أصول معظم عناصره للعرق الصيني، في تدشين حركة تمرد مسلح ضد الحكومة الاستعمارية البريطانية. وفي البداية قام البريطانيون بالرد على هذا التمرد عبر مضاعفة أعداد قوات الأمن الماليزية. ولعبت قوات الشرطة -وليس الجيش- الدور الأبرز في مكافحة التمرد. وبين عامي ١٩٤٨ و ١٩٥٠ تضاعف عدد قوات الأمن الماليزية خمس مرات ليصل إلى ٥٠٠٠٠ ، بينما زاد عدد أفرادالحامية البريطانية إلى ٤٠٠٠٠ . ومع ذلك، لم يتوفر من الوقت إلا بضعة أسابيع لتدريب عاجل لضباط الشرطة الجدد قبل إلقائهم في أتون العمليات. وبالطبع كانت قوات الشرطة ذات الكفاءة المُتدنِّية، والتي لم تُدرَّب بشكل جيد، غير فعالة على الإطلاق في إدارة العمليات، كما تعدَّت هذه القوات على الأهالي وانجرفت إلى ارتكاب ممارسات فاسدة. ونظر قسم كبير من السكان إلى قوات الشرطة نظرة عدائية، وامتنعوا عن تزويدها بأي معلومات عن المتمردين.



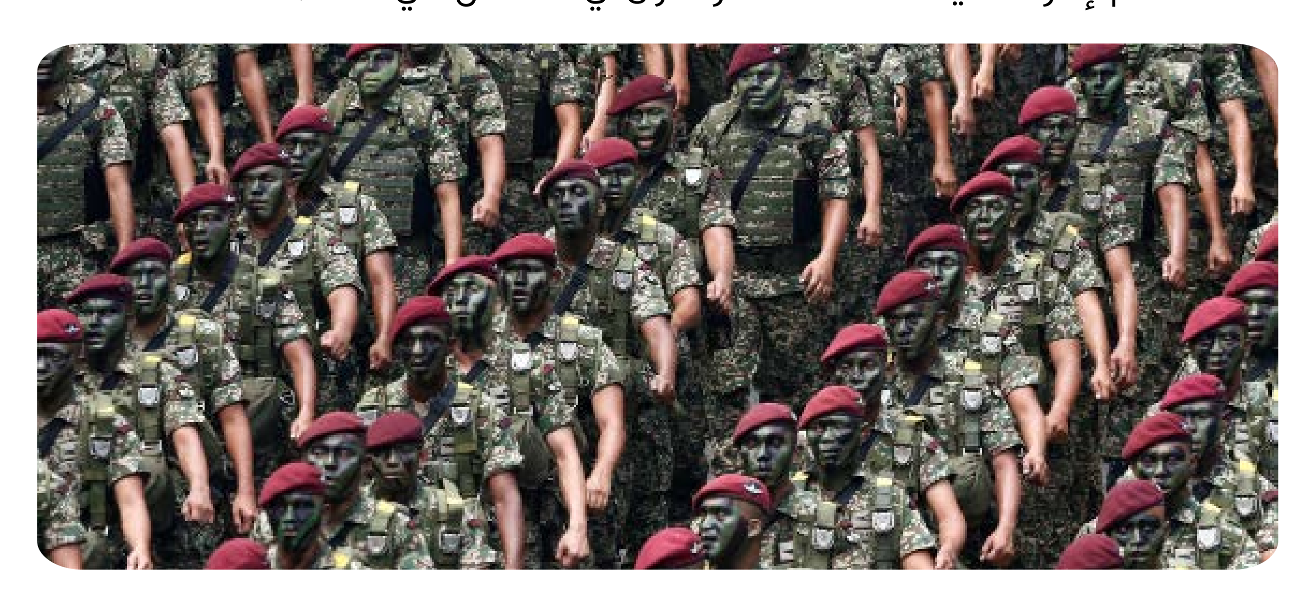
وبعد ذلك أعد البريطانيون استراتيجية جديدة تضمنت إصلاح قوات الشرطة الماليزية. ففي البداية فُصِل ١٠٠٠٠ ضابطِ شرطةٍ منحرفٍ أو غيرِ كفُؤٍ من الخدمة. ثم عُيِّن الضباط الذين أثبتوا أعلى درجة من الكفاءة أثناء العمليات كمعلمين في مدارس شرطة جديدة.

وخـلال عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٣ حضر كل ضابط شرطة دورة تدريبية أساسية مدتها أربعة أشهر. وأُرسـال ضباط الشرطة العاملين وضباط الصف إلى دورات متقدمة مدتها ثلاثة أو أربعة أشهر. وأُلـزم جميع الضباط الكبار في الشرطة الماليزية بالانتظام في دورات تدريبية في مدرسةِ استخباراتِ الشرطة، حيث تعلموا أحـدث تقنيات استجواب المجرمين. وقامت فرق من كبار ضباط الشرطة البريطانية بتعليمهم طرق جمع المعلومات الاستخبارية وتحليلها كذلك. وتلقى العشرات من الضباط الماليزيين الواعدين دورةً مدتُها عامٌ كامل للتدريب على عمليات الشرطة المتقدمة في بريطانيا.



ولتثبيط الأفراد ذوي الأصول الصينية عن الانضمام إلى صفوف المتمردين، قام البريطانيون بالتعاون الوثيق مع المنظَّمات الصينية لتجنيد الصينيين في الشرطة الماليزية. وفي عام ١٩٥٢ وصل عدد الصينيين المجندين في الشرطة الماليزية لأكثر من الضعف. وعلى الرغم من أن نسبة الصينيين في الشرطة لم تتساو مع نسبتهم إلى إجمالي عدد السكان، فقد نظروا إلى هذا التوسع في الاستعانة بهم في الشرطة كعلامة على اهتمام الحكومة بمصالحهم.

وفي الوقت نفسه كانت بعض الجماعات السياسية الصينية والماليزية تبني تحالفا لتأسيس دولة ماليزية مستقلة تشارك فيها جميع المجموعات العرقية الكبرى. وكان هذان الجهدان يُكمِّل أحدهما الآخر. وهكذا فقد أدى استخدام ضباط وجنود الشرطة المتدربين جيداً والذين يقودهم ضباط عاملون وضباط صف أكفياء تلقوا تدريباً كاملاً، إلى تحسن مستويات انضباط قوات الأمن الماليزية بدرجة هائلة. وأدى ذلك إلى تكوين علاقات أفضل بين السكان وقوات الأمن، فبدأ الأهالي يُقدِّمون لقوات الأمن معلومات عن المتمردين. وبفضل التدريب الاستخباراتي الذي تلقته، تمكنت قوات الأمن من تكوين منظومة استخبارات طبقاً للمعلومات التي تعلمتها وتدرَّبت عليها وباشرت العمل وفقًا لها، فبدأت في هزيمة المتمردين. وفي عام ١٩٥٣ ، تسلمت الحكومة زمام المبادرة. وبعد ذلك تدهورت قوات المتمردين والمنظومة الداعمة لها تدهوراً سريعاً. وفي أواخر عام ١٩٥٣ ، بدأ البريطانيون يسحبون قواتَهم، إذ عملوا تدريجياً على تسليم زمام الحرب للماليزيين الذين كانوا على استعداد تام لإدارة عمليات مكافحة التمرد دون أي انخفاض في الكفاءة.



إن تجربة التمرد في ماليزيا توفرُ دروساً يمكن تطبيقها على مقاومة أي حالة تمرد، منها أن القوة البشرية لا تكفي، وأنه لا غنى عن القوات المدربة تدريباً جيداً والمنضبطة. كما يوضح هذا المثال الماليزي الدور المركزي الذي تلعبه الشرطة في عمليات مكافحة التمرد. وقد أصر البريطانيون على أن يتلقى الأفراد المختارون تدريباً على المناهج المتكاملة الخاصة بضباط الشرطة والجيش البريطانيَين. وبذا فقد بُنيتْ قوة الشرطة الماليزية على أساس سليم. وعن طريق معالجة مشكلة تدريب وإصلاح قوات الأمن من منظور شامل، تمكَّن القادة البريطانيون من تحويل هيئةٍ روحُها المعنوية متدهورةٌ إلى قوةٍ رابحة. ولم يحتج هذا التحول سوى خمسة عشر شهراً فقط.



سلسلة كتب مختصـــــرة
الكتاب الرابع

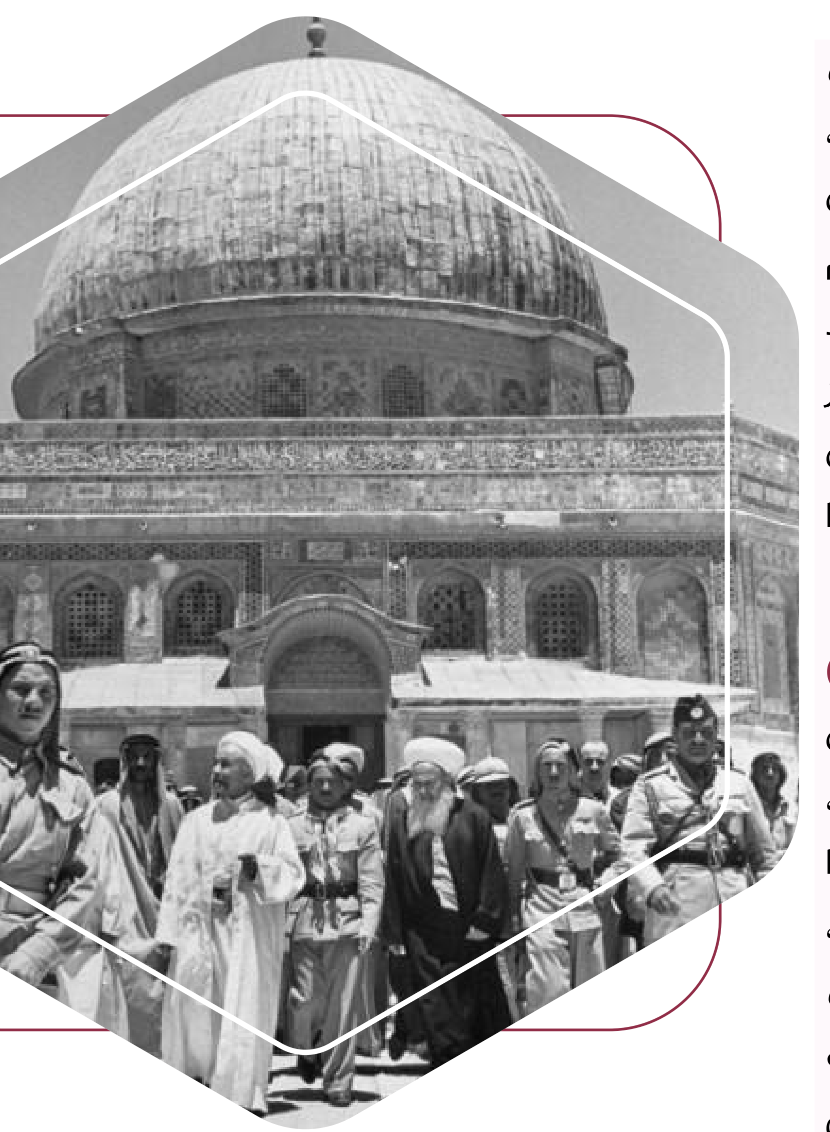
مذكرات الحاج محمـد أميــن الحسيني (٦)

وقائع الكفاح في الفترة (١٩٤٧ - ١٩٤٨).

عندما أُعيد تأليف الهيئة العربية العليا لفلسطين عام ١٩٤٦ كانت استعدادات اليهود العسكرية تُنذر بشدة الخطر، وتوالت عليهم الأسلحة والذخيرة، غير آلاف اليهود المدربين في الكثير من الدول الأجنبية، وكانت سياسة الإنجليز نحو الفلسطينيين عكس ذلك، فقد كانت باكورة أعمالهم منذ احتلال فلسطين ١٩١٧ - ١٩١٨ جمع السلاح منهم، وحظر حيازته عليهم، وتنفيذ الحكم بالإعدام على عدد كبير من الفلسطينيين لحيازتهم السلاح.

ورغم ذلك سعى الفلسطينيون للحصول على السلاح ما استطاعوا إليه سبيلاً، لكنْ وسائلهم ومواردهم المالية كانت محدودة ولا تقاس بما كان لليهود من وسائل.

ورغم ذلك استطاع الفلسطينيون في جميع ثوراتهم طوال عهد الانتداب أن يصمدوا في وجه القوات البريطانية والقوات اليهودية المسلحة، بل ويتغلبوا على اليهود في ثورتهم عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ في كثير من المواقع، ويكبِّدوهم خسائر فادحة، حتى دخول الجيوش العربية في فلسطين ١٥ أيار ١٩٤٨ وقيامها بعزل القوات الفلسطينية عن ميدان المعركة، وحرمانهم من المال والسلاح وسائر وسائل الكفاح.



سعت الهيئة العربية للحصول على السلاح والعتاد والأجهزة العسكرية، وعملت على إعداد المجاهدين الفلسطينيين وتدريبهم وتنظيم تشكيلاتهم، وألفت جيش الجهاد المقدس بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني، وقد سبق لعدد منهم أن قاموا بدورات عسكرية في ألمانيا والعراق.

وأعدت قيادة (الجهاد المقدس) بمعاونة عدد من ضباط سوريين ومصريين وعراقيين برنامجًا دقيقًا، واختارت الأهداف التي ستنفذ فيها عمليات الجهاد فبلغت ٣٦٠٠ هدف، وقد نُفِّذَ قسم من برنامج الأهداف في منطقة القدس مثل نسف دار الوكالة اليهودية، ونُفِّذَتْ عمليات في مناطق أخرى مثل يافا، والمنطقة الشمالية.

"ولو لم تنخدع بعض الجهات الرسمية العربية بوعود المستعمرين وتقوم بعرقلة جهودهم لتمكن المجاهدون من تنفيذ برنامجهم، وتحقيق سائر أهدافهم."

عمت فلسطين موجة عارمة من الحماس والاندفاع للقتال وأخذت المعارك تتوالى بين الفلسطينيين وأعدائهم، وبدت كفة العرب راجحة في أواخر عام ١٩٤٧ والشهور الأولى من ١٩٤٨ .

لما رأى الإنجليز تلك الانتصارات خشوا من تفاقم حرب العصابات أن يُحبط مخططهم الرامي إلى القضاء على عروبة فلسطين، فبادروا بتقديم مذكرة إلى السلطات العربية الرسمية اعترضوا فيها على تسليح الفلسطينيين وتدريبهم، وزعموا أن الفلسطينيين يقتلون اليهود بقسوة ودون رحمة، وتابع الإنجليز اعتراضهم وضغطهم على الحكومات العربية حتى حملوها على تبديل الخطة العسكرية التي تقررت مسبقًا، وعلى إدخال جيوشها إلى فلسطين.

ولم تلبث بعد ذلك أن ظهرت سياسة إقصاء الفلسطينيين عن ميادين المعركة، ومنع الأسلحة والأموال عنهم، بل ومهاجمة قوات الجنرال جلوب لقوة الجهاد المقدس في منطقة رام الله وتشتيتها، والاستيلاء على سلاحها وعتادها.

ورغم سياسة الإقصاء والحرمان ظلت قوات (الجهاد المقدس) تقوم بأعمال رائعة منذ ١٩٤٧ إلى ما بعد انسحاب القوات المصرية من قطاع الخليل- بيت لحم، وانسحاب القوات العراقية من قطاع جنين - طولكرم.

التواطؤ البريطاني الأمريكي ودور مجلس الأمن

لما قـررت الحكومة البريطانية وقف الإدارة المدنية في فلسطين وتصفيتها من بداية مارس ١٩٤٨، واتخذت شكل حكومة عسكرية، وأصبح المندوب السامي حاكمًا عسكريًّا، شرع الإنجليز حينئذ ينسحبون من المناطق اليهودية متخلين عن إدارتها لليهود، وسرعان ما بادرت الوكالة اليهودية بوضع اليد على تلك المناطق متخذة لنفسها صفة حكومة يهودية.

" ساعد هذا الموقف اليهود على اتخاذ مواقف مماثلة في اقتراف المذابح والفظائع في المدن التي يسكنها عرب ويهود، وزاد الموقف خطورة ما أعلنته السلطات البريطانية من أن كل تدخل عسكري قبل ١٥ مايو وهو اليوم الذي حددته لانسحابها من فلسطين ستقابله بالقوة، وأنها ستظل مسؤولة عن النظام والأمن حتى ذلك التاريخ، لكن الواقع كان خلاف ذلك، إذ أخذت السلطات البريطانية في المدن العربية المختلفة تُخلي الأحياء العربية وتترك أهلها فريسة للاعتداءات اليهودية. "

طوال تلك الفترة لم تفعـل الدول العـــربية شيئًا يعتد به من حيث زيادة استعدادها العسكري، وتقوية طاقاتها القتالية للتصدي للأحداث المقبلة على المستوى الذي تتطلبه خطورة قضية فلسطين، واندفاع اليهودية العالمية في دعم المطامع الصهيونية.



بعد مذبحة حيفا الرهيبة التي قام بها اليهود إثر سقوط المدينة في أيديهم في ٢٣/٤/ ١٩٤٨ وما سبقها من مذابح مثل دير ياسين وغيرها، أخذ بعض الناس يغادرون بيوتهم ومساكنهم إلى بلدان عربية مجاورة، ورافقت ذلك دعاية استعمارية وصهيونية واسعة تحض الناس على هجرة مؤقتة إلى البلاد المجاورة ريثما تصل الجيوش العربية إلى فلسطين، فتصد المعتدين وتعيد المهاجرين إلى منازلهم آمنين كما وعد المسؤولون من حكام الدول العربية وقادتها حينئذ في خطبهم وتصريحاتهم.

"وكان من أكبر الأخطاء التي وقعت فيها الحكومات العربية أن فتحت لتسهيل هجرة الفلسطينيين إليها، ولما كنا شديدي الحرص على بقاء الفلسطينيين في بلادهم مهما كانت الظروف واشتدت الأخطار فقد بادرت الهيئة العربية العليا لفلسطين بنشر بيان في فبراير 8491 يدعو الشعب الفلسطيني للبقاء في بلاده، وأن لا يجلو عنها لأي سبب، وأن يدافع عنها حتى النفس الأخير."

وفي ١٨ أيار ١٩٤٨ سقطت عكا في يد اليهود بعد صمود رهيب، ورغم قلة عدد المجاهدين حوالي ١٥٠ مقابل ٢٥٠٠ من اليهود إلا أنهم ثبتوا طويلاً حتى تمكن العدو بمصفحاته وآلياته من دخول المدينة.

وبعد ذلك توالى سقوط باقي المدن مثل الناصرة وطبرية وصفد وغيرها، وأخذت القوات المدافعة عنها تنسحب بعيدًا تاركة إياها لليهود الذين قاموا فيها بأبشع مجازر راح ضحيتها الآلاف.



كانت الحرب النفسية هي أسوأ ما يواجهنا، فالصهيونيون في حرب ٤٨ لم يكونوا يملكون سلاحًا ثقيلاً ولا طائرات حربية، وكل ما كان لديهم قليل من طائرات مدنية للتدريب، وكانوا في بعض الظروف يلقون بعض القنابل اليدوية باليد من الطائرات المدنية، وكان لدى بعض الدول العربية كمصر والعراق قوات جوية بقيادة طيارين عرب، وحين قصفت الطائرات المصرية بعض الأهـــداف العسكرية في ميناء تل أبيب أوقعت الذعر والهلع في نفوس سكانها، وفر عدد كبير منهم يقدر بعشرات الألـوف إلى أماكن بعيدة.

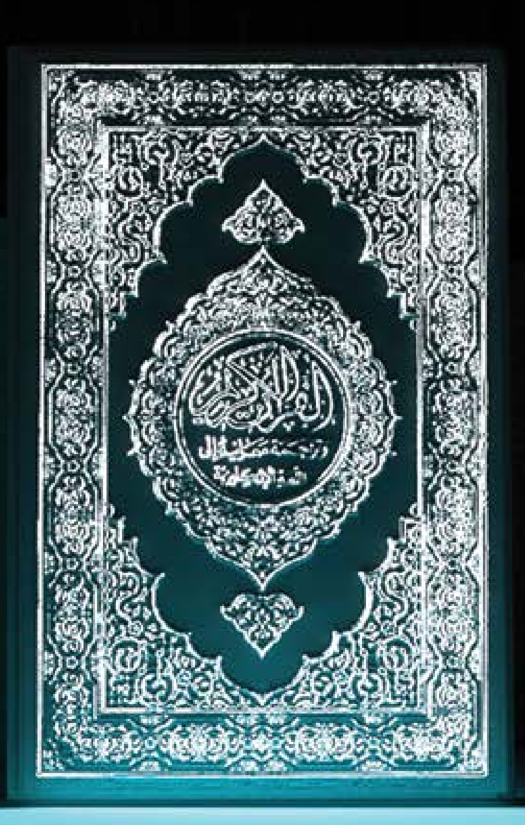
وقد تدخل الإنجليز والأمريكيون منذ اليوم الأول محتجين على قصف الطائرات المصرية لإسرائيل التي لا تملك طائرات حربية، وطالبوا الدول العربية أن تكون مهمة جيوشها بوليسية لا حربية، وكان الجيش البريطاني حينئذ مؤلفًا من نحو ١٠٠ ألف جندي يتربصون في قناة السويس.

حين سقطت صفد في أيدي اليهود ظل اليهود مندهشين وغير مصدقين من أن العرب انسحبوا من صفد، إذ كانت لديهم أسلحة وذخائر تمكنهم من متابعة القتال.

حتى حين حاولت قوة أردنية دخول المدينة وتقديم الدعم جاءتها الأوامر من عُمان بالانسحاب وعدم الدخول.

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الآية (٥٢)



كلمة حق | العدد الحادي عشر ، يونيه ٢٠١٨

www.klmtuhaq.blog



القُوَّة في السِّياسةِ الشَّرعِيَّةِ (١)

د. وصفي عاشور أبو زيد(١)

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، واتبع هداه، وبعد.

فإن الإسلام هو الدين القيم، والدين الحق، ولابد للحق من قوة تحميه، فلا يثبت حق دون قوة، ولا تستقيم قوة دون حق؛ إذ الحق من دون قوة سيذهب هدرًا، ولن يستطيع أتباعه إقامته في واقع الناس، فالضامن لإقامة هذا الحق وترسيخه إنما هي القوة، والقوة من دون حق تكون قوة طائشة باغية طاغية، تبطش بالناس وتوقع بهم الظلم والقهر، فالعاصم لهذه القوة من الطيش والنزق أن تنطلق محفوفة بالحق الذي يحجزها عن الانحراف والضلال.

وما أحوج ديننا اليوم إلى دولة تملك مقومات القوة الشاملة لتقوم بحمايته والذب عنه وإبرازه للإنسانية بما يحمله من مقومات، وما يتمتع به من خصائص، وما جاء به من مشتركات إنسانية تصلح أن يتلاقى عليها البشر؛ ليتعارفوا، ويتآلفوا، ويقدم بعضهم لبعض ما ينفعهم، ويتجنبوا ما يضرهم ولا ينفعهم.

وقد أصبح عالمنا اليوم مليئا بالصراعات والحروب والقتل والتدمير؛ لأن كثيرا من الأمم يصدر عن القوة دون حق، وهذا هو الطرف الباغي، وأمم تحمل الحق من دون قوة، ومن هنا تحدث المفارقة وتقع المشكلات؛ إذ يضعف الحق عن القيام بمقتضياته، وتنزق القوة إلى طريق الضلال والانحراف.



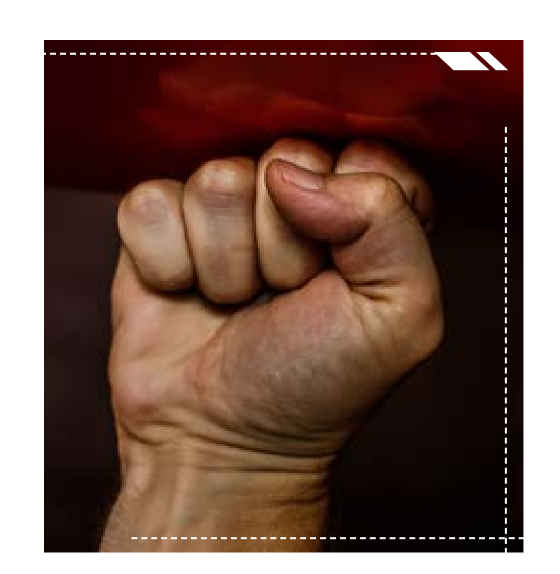
وما أحوج الأمم جميعا على وجه العموم، والأمة المسلمة على وجه الخصوص، أن تقيم هذه الموازنة بين الحق والقوة؛ فهذا وحده هو الضامن لأمنها، والحافظ لمقوماتها ومقدراتها، والناهض بأن تعاملها الأمم بندية وتقدير دون طغيان ولا إخسار.

والإسلام العظيم - بعقيدته وشريعته - يحمل في تصوراته وتشريعاته من الرحمة والسماحة ما لم يوجد في دين سماوي، ولا قانون أرضي؛ فليست القوة - كما سيأتي - تعني القسوة أو البطش أو السيف كما يريد البعض أن يسجنها في غياهب الماديات والقتل والتدمير، وإنما لها في اللغة والشرع معانٍ كثيرة تتنوع لتتناسب مع كل حال، وتستوعب كل واقع وجديد.

ومما لا شك فيه أن أرحب المجالات لإبراز القوة ووجودها هو مجال السياسة الشرعية بأنواعها، سواء كانت سياسة داخلية بين أفراد المجتمع وطبقاته، أم سياسة خارجية على المستويين: الإقليمي، والدولي؛ إذ القوة بالحق والحق بالقوة هي التي تسوس الناس، وتُنْفِذُ التشريعاتِ والأحكامَ والآداب.

(١) القوة في السياسة الشرعية.. عَناصِرُها، ضَوابِطُها، مقاصدها، د. وصفي عاشور أبو زيد، ورقة مقدَّمةٌ إلى ندوة تطور العلوم الفقهية الثالثة عشر بسلطنة عُمَان الثالثة عشر، المنعقدة في مسقط ٦-٩ أبريل ٢٠١٤م بعنوان: "الفقه الإسلامي: المشترك الإنساني والمصالح".

من أجل هذا أردنا أن نتعرض في هذا البحث لموضوع مهم، وهو: "القوة في السياسة الشرعية: عناصرها وضوابطها ومقاصدها"، وقد اقتضى أن يكون على النحو الآتي:



المبحث الأول: معنى القوة لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: العلاقة بين السياسة الشرعية والقوة.

المبحث الثالث: القوة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث الرابع: عناصر القوة ومجالاتها.

المبحث الخامس: ضوابط القوة في السياسة الشرعية.

المبحث السادس: مقاصد القوة في السياسة الشرعية.

المبحث الأول:

معنى القوة لغة واصطلاحا.

تدور معاني مادة (ق و ي) في اللغة حول الطاقة والقدرة والجد والجوع والفقر والاحتباس والخلاء، جاء في المصباح المنير: قَوِيَ يَقْوَى فَهُوَ قَوِيٌّ، وَالْجَمْعُ أَقْوِيَاءُ، وَالِاسْمُ الْقُوَّةُ، وَالْجَمْعُ: الْقُوَى مِثْلُ غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ، وَقَوِيٌّ عَلَى الْأَمْرِ، وَلَيْسَ لَهُ بِهِ قُوَّةٌ أَيْ طَاقَةٌ، وَالْقَوَاءُ بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ الْقَفْرُ، وَأَقْوَى صَارَ بِالْقَوَاءِ، وَأَقْوَتْ الدَّارُ خَلَتْ [٢].

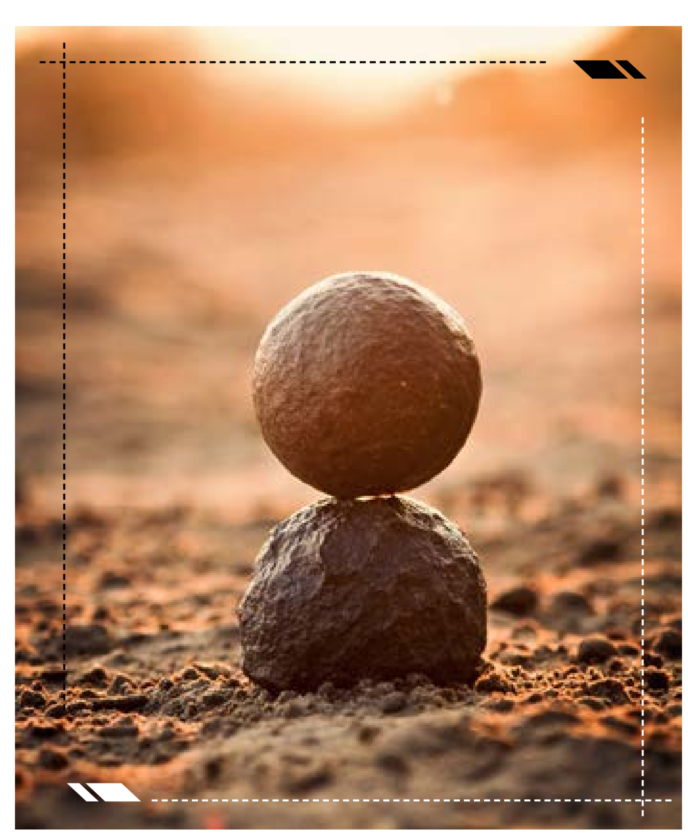
وقال ابن منظور: القوّة من تأْليف ق و ي ولكنها حملت على فُعْلة فأُدغمت الياء في الواو كراهية تغير الضمة والفِعالةُ منها قِواية .. ونقل عن ابن سيده: القُوَّةُ نقيض الضعف، والجمع: قُوًى وقِوًى، وقوله عز وجل: "يا يحيى خُذِ الكتاب بقُوَّةٍ" أَي بِجِدّ وعَوْن من الله تعالى ... وقد قَوِيَ الرجل والضَّعيف يَقْوَى قُوَّة فهو قَوِيٌّ وقَوَّيْتُه أَنا تَقْوِيةً وقاوَيْتُه فَقَوَيْتُه أَي غَلَبْته [٣].

أما الزمخشري فيذكر معانيَ جديدةً من اشتقاقات الجذر وتعديته بطرق تعدية الفعل، فيقول: هو قويّ مقوٍ: قويّ الأصحاب والإبل. وقويَ على الأمر، وقوّاه الله، وتقوّى بفلان، وهو شديد القوّة والقوَى ... وقاوى شريكه المتاع، وتقاووه بينهم وهو أن يشتروا شيئًا رخيصًا ثم يتزايدوا حتى يبلّغوه غاية ثمنه فإذا استخلصه أحدهم لنفسه قيل: قد اقتواه. .. وتقاوينا الدّلو تقاويا إذا جمعوا شفاههم على شفتها فشرب كلّ واحد ما أمكنه. .. واقتوى شيئا بشيء: تبدّله به. .. وأقوى القوم: فني زادهم، وباتوا على القوى، وقويَ: جاع جوعاً شديداً، وإبل قاويات، وتقاوى فلان: بات قاويًا ... وأقووا: نزلوا بالقفر. وأقوت الدار من أهلها. ونزلوا بالقواء والقيّ: بالقفر، وبات فلان القواء. وأقوى في شعره إقواءً [٤].

وفي المعجم الوسيط وردت معاني الطاقة والتحمل، ثم جاء فيه: وقوى جاع جوعا شديدا، والمطر احتبس، والحبل والوتر كان بعض قواه أغلظ من بعض فهو قو، والدار قوى وقواء وقواية خلت .. (أقوى) الرجل افتقر ونزل بالقفر ونفد طعامه وفني زاده وجاع فلم يكن معه شيء... (قاويت) فلانا غالبته في القوة فقويته غلبته. (قوَّى) الرجل أو الشيء أبدله مكان الضعف قوة. (اقتوى) كان ذا قوة أو جادت قوته، وعلى فلان عاتبه، والشيء اختصه لنفسه، وشيئا بشيء تبدل به، والشركاء المتاع بينهم تزايدوه حتى بلغ غاية ثمنه فأخذه بعضهم به .. (تقاوى) فلان بات قاويا... (القاوي) الجائع والآخذ. (القاوية) البيضة والسنة القليلة المطر. (القواء) القفر من الأرض، وأرض قواء: لا أحد فيها، ومنزل قواء: لا أنيس به، والأرض التي لم تمطر بين أرضين ممطورتين (ج) أقواء [٥].



وأما القوة في الاصطلاح فقد جاء في المعجم الفلسفي: قوة: مصدر الحركة والعمل، ومنه قوة الروح، وقوة الإرادة، وقوة التفكير[٦].



أما الإمام الجرجاني صاحب التعريفات وكذلك المناوي صاحب التعاريف - فينحو منحى فلسفيًّا منطقيًّا مبينًا أنواع القوة، فيقول: القوة هي تمكن الحيوان من الأفعال الشاقة، فقوى النفس النباتية تسمى قوى طبيعية، وقوى النفس الحيوانية تسمى قوى نفسانية، وقوى النفس الإنسانية تسمى عقلية، والقوى العقلية باعتبار إدراكاتها للكليات تسمى القوة النظرية، وباعتبار استنباطها للصناعات الفكرية من أدلتها بالرأي تسمى القوة العملية .... ثم يتحدث عن القوى: الباعثة والفاعلة والعاقلة والمفكرة والحافظة والعقلية [٧].

(٢) المصباح المنير للفيومي: باب القاف مع الواو وما يثلثهما.
(٣) لسان العرب: ١٥/ ٢٠٦. دار صادر. بيروت. مادة (ق و ا).
(٤) أساس البلاغة: مادة (ق و ي).
(٥) المعجم الوسيط: ٢/ ٧٦٨-٧٦٩. مجمع اللغة العربية. طبعة دار الدعوة.

وعرفها العلامة محمد الطاهر ابن عاشور بقوله: "حقيقتها: كمال صلابة الأعضاء لأداء الأعمال التي تراد منها"[٨].

وفي مقام آخر عند قوله تعالى من سورة الأعراف: " وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ(١٤٥)". يفصل ابن عاشور في حقيقة القوة جامعا بين معانيها اللغوية والاصطلاحية فيقول: والقوة حقيقتها حالة في الجسم يتأتى له بها أن يعمل ما يشق عمله في المعتاد، فتكون في الأعضاء الظاهرة، مثل: قوة اليدين على الصنع الشديد، والرجلين على المشي الطويل، والعينين على النظر للمرئيات الدقيقة. وتكون في الأعضاء الباطنة، مثل: قوة الدماغ على التفكير الذي لا يستطيعه غالب الناس، وعلى حفظ ما يعجز عن حفظه غالب الناس، ومنه قولهم: قوة العقل...

وسمى الحكماء الحواس الخمس العقلية بالقوى الباطنية وهي الحافظة، والواهمة، والمفكرة، والمخيلة، والحس المشترك؛ فيقال: فرس قوي، وجمل قوي على الحقيقة، ويقال: عود قوي، إذا كان عسير الانكسار، وأسس قوي، إذا كان لا ينخسف بما يبنى عليه من جدار ثقيل، إطلاقا قريبا من الحقيقة، وهاته الحالة مقول عليها بالتشكيك لأنها في بعض موصوفاتها أشد منها في بعض آخر، ويظهر تفاوتها في تفاوت ما يستطيع موصوفها أن يعمله من عمل مما هي حالة فيه، ولما كان من لوازم القوة أن قدرة صاحبها على عمل ما يريده أشد مما هو المعتاد، والأعمال عليه أيسر، شاع إطلاقها على الوسائل التي يستعين بها المرء على تذليل المصاعب مثل السلاح والعتاد، والمال، والجاه، وهو إطلاق كنائي قال تعالى: قالوا نحن أولوا قوة في سورة النمل [٣٣] .

ولكونها يلزمها الاقتدار على الفعل وصف الله تعالى باسم القوي أي الكامل القدرة قال تعالى: إن الله قوي شديد العقاب في سورة الأنفال [٥٢] .

والقوة هنا في قوله: فخذها بقوة تمثيل لحالة العزم على العمل بما في الألواح، بمنتهى الجد والحرص دون تأخير ولا تساهل ولا انقطاع عند المشقة ولا ملل، بحالة القوي الذي لا يستعصي عليه عمل يريده. ومنه قوله تعالى: يا يحيى خذ الكتاب بقوة في سورة مريم [١٢] [٩].



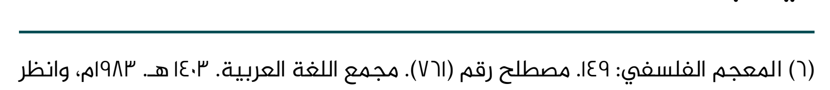
المبحث الثاني

العلاقة بين السياسة الشرعية والقوة

السياسة الشرعية ابتداء هي - كما أورد ابن القيم عن ابن عقيل : ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح ، وأبعد عن الفساد ، وإن لم يضعه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولا نزل به وحي[١٠].

وقد تطور علم السياسة في الواقع المعاصر بحيث أصبح أكثر تخصصا بما لا ينصرف الذهن معه للمعنى السابق، فصار يطلق - من مجمل التعريفات المعاصرة له - على الدولة والسلطة فيها، يقول د. ثروت بدوي: وهناك اختلاف في تعريف السياسة في الاصطلاح المعاصر، حتى إنه ليصعب صياغة تعريف واحد يوافق عليه الجميع، إلا أن هناك قدراً متيقناً متفقاً عليه لتحديد مدلول السياسة، ألا وهو أنها تتعلق بالسلطة في الدولة"[١١].

ولما كانت طبيعة البشر الاختلاف بسبب تفاوت الطباع، واختلاف المنطلقات والغايات، وتنوع الوسائل والآليات، فما تراه أنت صحيحا يراه آخرون خطأ، وما تراه راجحا يراه غيرك مرجوحا، وما تظنه مناسبا يراه البعض غير مناسب ... فلهذا كله وغيره اتفق العقلاء والفقهاء على أنه لا سياسة بغير قوة، ولا قوة بغير سياسة، والقوة التي نعنيها هنا ليست القوة الطائشة الباغية الظالمة، وإنما القوة المنضبطة بضوابط الشرع، وسيأتي بيان لهذه الضوابط فيما بعد.



(٦) المعجم الفلسفي: ١٤٩. مصطلح رقم (٧٦١). مجمع اللغة العربية. ١٤٠٣ هـ. ١٩٨٣م، وانظر المعجم الفلسفي لجميل صليبيا: ٢: ٢٠٢-٢٠٣. دار الكتاب اللبناني. ١٩٨٢م.

(٧) التعريفات للجرجاني: ٢٣١-٢٣٢. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٤٠٥هـ وانظر التعاريف للمناوي: ٥٩٢-٥٩٣. دار الفكر. دمشق. ١٤١٠هـ.

(٨) التحرير والتنوير: ١٠/ ٤٤. طبعة الدار التونسية.

(٩) التحرير والتنوير: ٩: ٩٩-١٠٠.

وإذا تأملنا كلام فقهاء السياسة عن واجبات الحاكم التي حصروها في عشرة:

» أحدهما: حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة أي إقامة الدين على وجهه الصحيح.

» الثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بينهم , أي إقامة العدل بين الناس وتنفيذ الأحكام .

» الثالث: حماية البيضة والذب عن الحوزة ليتصرف الناس في المعايش وينتشروا في الأسفار آمنين , أي نشر الأمن في الداخل .

» الرابع: إقامة الحدود لتصان محارم الله عن الانتهاك , وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك أي تنفيذ عقوبات جرائم الحدود وجرائم القصاص .

» الخامس: تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا يظفر الأعداء بغرة ينتهكون بها محرما ويسفكون فيها دما لمسلم أو معاهد. أي حماية الأمن الخارجي بالعدة والاستعداد الدائمين .

» السادس: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة .

» السابع: جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصا واجتهادا من غير عسف.

» الثامن: تقدير العطاء وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقصير ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير .

» التاسع: استكفاء الأمناء وتقليد العظماء فيما يفوضه إليهم من الأعمال .

» العاشر: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال ليهتم بسياسة الأمة وحراسة الملة .

هذه هي واجبات الإمام كما حددها بعض الفقهاء، وهي تدخل جميعا تحت واجبين اثنين، هما: إقامة الدين، وإدارة شئون الدولة في حدوده [١٢].



---

(١٠) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ٢٩. دار عالم الفوائد. ١٤٢٨هـ.

(١١)النظم السياسية: ٤. دار النهضة العربية. القاهرة.١٩٨٩م.

(١٢) الأحكام السلطانية للماوردي: ٢٢-32. تحقيق أحمد مبارك البغدادي. مكتبة دار ابن قتيبة. الكويت.9041هـ وانظر: الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء: ٢٧-٢٨. دار الكتب العلمية، والإسلام وأوضاعنا السياسية لعبد القادر عودة: ١٨٣-١٨٤ ، والتشريع الجنائي الإسلامي له أيضا: ١/ ٤٣، والإسلام والاستبداد السياسي لمحمد الغزالي: ١٠٦.

أقول إذا تأملنا هذه الواجبات وجدناها جميعا لا تستغنى عن القوة والشوكة التي تمكّن الحاكم من إنفاذها وتمكينها ورعايتها وحمايتها والحفاظ عليها، بما يحقق تنظيم أمور المجتمع، والحفاظ على حياة الناس وأمنهم.

والسُّلْطَةُ ارتبطت بالقوة حتى في تعريفها اللغوي، قال ابن فارس: السين واللام والطاء: أصلٌ واحد، وهو القوّة والقهر. ومن ذلك السَّلاطة، من التسلط وهو القَهْر، ولذلك سمّي السُّلْطان سلطاناً. وفي القاموس المعتمد: السُّلْطَةُ بالضم القدرة والملك، والسُّلطان: الحجة، والقدرة، والمَلِك(١٣).

وكذلك في الاصطلاح: هي السيطرة والتمكن والقهر والتحكم، ومنه السلطان، وهو من له ولاية التحكم والسيطرة في الدولة(١٤).

إن السلطة في الفكر الإسلامي وفي إطار النظام السياسي اتصفت بصفتين أساسيتين:
الأولى: تتمثل في عدم الفصل بين الشؤون المدنية والشؤون العسكرية منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم.
والثانية: تتمثل في إعلاء قيمة القوة والتأكيد على ارتباط السلطة بالقوة(١٥).

ومن هنا فلا غني للسلطة عن القوة، ولا غنى للقوة عن ضوابطها، وبهذين الجناحين تحقق سياسةُ دنيا المسلمين بدينهم أهدافَها وغاياتها.



(١٣)معجم مقاييس اللغة، والقاموس المعتمد، مادة (سلط).
(١٤)الموسوعة الفقهية ٦/٢١٦
(١٥) علم اجتماع السياسة - مبادئ علم السياسة لموريس دوفرجيه: ١٣٣. ترجمة سليم حداد. المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ١٩٩١م

صيام رمضان وبناء الجيل

د. عطية عدلان



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد،

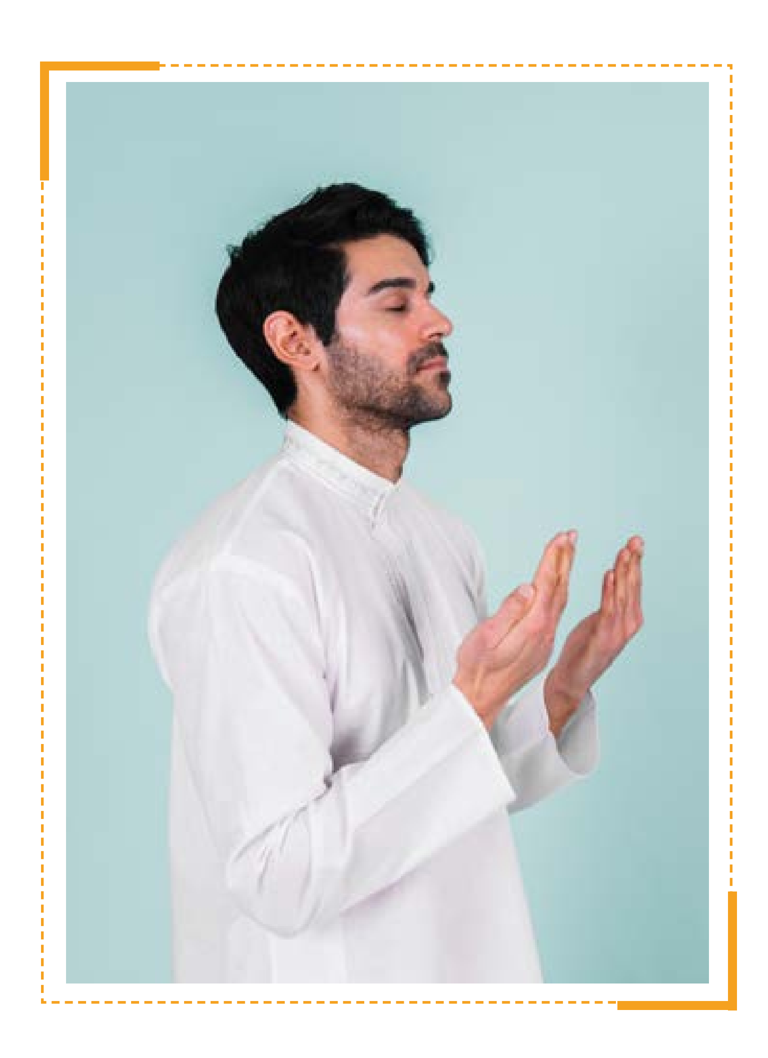
بناءُ الجيل عملٌ جِدٌّ جليل، لأنَّه العمل الوحيد الذي لا يمكن تجاوزه أو تجاهله في مشروع الأمّة الإسلامية، ولأنَّ جميعَ مراحلِ هذا المشروعِ مرهونةٌ في نجاحها بنجاحه، وموقوفةٌ في بلوغها الغاية على بلوغه التمام، فهل لصيام رمضان دور في هذا العمل الجليل؟ بكل تأكيد: أجل، لكن كيف ؟

لا بد أولاً أن ندرك السر في عبادة الصيام، لأنَّ إدراك هذا السر هو مفتاح الكنز المكنون في هذه العبادة العظيمة، ولنبدأ مسيرة البحث عنه من هذا التعليل اللافت للنظر: "لعلكم تتقون"، فكأنّ الصيام شُرِع لهذه الغاية، وحتى لا تتحول العبادات إلى مجرد وسائل نقول: إنَّ الله تعبدنا بالصيام، ومن رحمته وكرمه وإحسانه أنَّه جعل لنا في هذه العبادة التي تعبدنا بها فوائدَ جمَّة، لخَّصها في هذه العبارة الجامعة: "لعلكم تتقون".

كيف يحدث هذا؟ وما هي الروافد التي تَمُدُّ القلب بالتقوى، ليصْلُح بها، وليصْلُحَ به وبها كيانُ الإنسان كلِّه؟

هذا هو الأمر، وعلى هذا النحو يُعالَج معالجةً تقود إلى معرفة السر وإلى تعظيم الاستفادة به وإلى حمايته من المشوِّشات.

وبادئ بَدْء، نثير بين أيدينا هذه الحقيقة البديهية، وهي أنَّ الإنسان مخلوق من قبضةِ طينٍ ونفخةِ روح، وأنَّه مفطور على معرفة الله ومحبته وطاعته والرغبة في المسير إليه، وأنَّه كلما تحررت روحه من ثقل الجسد اقترب من فطرته وحلَّق في آفاق الروحانية، فإذا جاء الصيام على وجهه الصحيح ليُهذِّب المادة ويخفف من غُلْوائها ويحدُّ من شهوات الجسد، فإنَّه بذلك يحقق للروح قدراً كبيرا من التحرر والانطلاق، فتُحلِّق في آفاق الإيمانيات، وتستدعي المعاني السامية، وهذا في ظني أعظم رافد للتقوى يتحقق في رمضان بفضل نعمة الصيام.



ولكي يتم للمسلم هذا الخير ينبغي عليه أن يُطهِّر هذا الرافد من الدغل الذي يمكن أن يعوق الانطلاق ويعطِّل التدفُّق، فليس مقبولاً أن يتحوَّل الصيام بمرور الوقت إلى مجرد حبس تشويقيّ للنفس عن شهواتها لتنغمس بعده في الملاذ انغماس المُتيَّمِ بها، فترى المسلم يَقلِب برنامجه كلَّه ليتوافق مع هذه الاستراتيجية البهيمية المنحدرة، فينام نهاره ويسهر ليله، ويتفنن في إيراد نفسه الشهوات بعد فِطامها الفطام التشويقي المؤقت.

ذاك كان الرافد الأول، أمَّا الرافد الثاني

فيتمثل في معنى من المعاني الضابطة الحاكمة، وهو معنى الاستسلام، إنَّه المعنى الذي يتحقق به جوهر الإسلام، لذلك عندما حققه إبراهيم وإسماعيل بهذه الاستجابة غير المشروطة لأمر الله تعالى تحقق لهما جوهر الإسلام (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِين). وتحقق للأمة الإسلامية شرف كبير تمثَّل في وضع إبراهيم حجر الأساس لدين الإسلام بجوار البيت العتيق هناك في أعماق التاريخ.

» إنَّ الصائم يدع طعامه وشرابه وشهوته، يدع الأمور التي تقوم بها حياتُه، وتتحقّق بها الوظائف الحيوية لجسده، يدعها لا لشيء إلا لأنَّ الله تعالى أمره بذلك، وهذا هو الاستسلام الذي هو جوهر الإسلام، وهذا هو المعنى الذي إن استصحبه المسلم في شأنه كلِّه والمنطق الذي إن اتبعه المسلم مع أمر الله كلّه كان تقيًّا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، الاستسلام لأمر الله دون توقف على معرفة الحكمة من هذا الأمر.

» ولا بد لكي يحدث التدفُّق المطلوب في هذا الرافد= من استشعار هذا المعنى دوماً، لذلك يُعَدُّ من أشد المشوِّشات عليه أن يتسخَّط المرء ويتبرَّم إن اشتد به جوع أو استبد به عطش أو تاقت نفسه لشهوة من شهواتها أو نزوة من نزواتها أو عادة من العادات التي درجت عليها، فليقاوم الإنسان ذلك ما استطاع، وليستدعي المعنى العظيم المتمثل في استسلام الإنسان لأمر ربه ورضاه به.

أمّا الرافد الثالث

فهو يكاد يكون خاصا بالصيام خالصًا له، لذلك قال تعالى في الحديث القدسي: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنّه لي وأنا أجزي به"، والسرّ في هذا هو أنَّ الصيام سرٌّ بين العبد وربه، فيستطيع المرء أن يدَّعي الصيام وهو غير صائم، ويملك المرء تحقيق ذلك إذا خلا وانقطع عن الخلق، لكنَّه لا يفعل ذلك، لأنَّه يعلم أنّ الخالق يراه ويطَّلع عليه، وهذا هو معنى (المراقبة) وهو المعنى الذي إن دام مع المسلم وصار خُلقاً له أمسى قلبُه مفتوحاً على مِصْراعيه لسيلٍ متدفِّقٍ من التقوى.

» والمهم هنا هو أن يُعمِّم المسلم أثر هذا الرافد فيُمْسك عن الغيبة وآفات اللسان وغيرها كما أمسك عن الطعام والشراب، وإلا بطل مفعول المراقبة بتعطيل أثرها في المحل، والمراقبة هذه هي التي تحقق للمسلم معنى الإحسان الذي هو أعلى مراتب الدين: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك".



» بهذه الروافد الثلاثة تتحقق الغاية: "لعلكم تتقون"، فإذا أُضيفَ لذلك القيامُ والقرآن والذكر والدعاء صار رمضانُ مدرسةً أو (مركزَ تأهيل) لإعداد الجيل، وصار للمسلم على طريقه كالمحطات التي ينزل بها متى أرهقه السفر وقلّ معه الزاد، ليتزود ويستجمّ ويستجمع قواه لمواصلة السفر.

مرحبا برمضان شهر البناء،

وكل عام وأنتم بخير وعافية وبركة ونماء" [1].

---

(1) مدخل إلى علم السياسة - موريس دوفرجيه - ت: سامي الدروبي وجمال الأتاسي - دار دمشق - القاهرة - بدون تاريخ - ص ١٨١



لا يضرهم من خذلهم

أحمد بن عبد الرحمن الصويان (1)

مشاريع التهويد لمدينة القدس تتصاعد بصورة متسارعة وغير مسبوقة.. الأنفاق والحفريات اليهودية مستمرة بشكل يهدد بنيان المسجد الأقصى.

المغتصبون والمتطرفون اليهود يقتحمون المسجد الأقصى ويتطاولون على حرمته بشكل متكرر، ويصادرون أجزاء منه.. الكنس اليهودية تحيط بالمسجد الأقصى، وتطوقه من كل جانب.. الكنيست الصهيوني يناقش مقترحاً لقانون يقضي بتقسيم المسجد الأقصى زمانياً ومكانياً.

---

(1) نعيد نشر هذا المقال المهم للدكتور أحمد الصويان المعتقل ظلماً في السعودية، فك الله أسره، وقد نُشر سابقاً في موقع طريق الإسلام بتاريخ ١٠ –١٢– ٢٠١٧

هدم المنازل والمزارع، وتهجير السكان، ومصادرة الهويات المقدسية، وتصاعد حركة الاغتصاب في محيط مدينة القدس؛ لم تتوقف منذ بداية الاحتلال.

هذه بعض العناوين الكبيرة للمشهد المقدسي، وهي غيض من فيض.. وكل عنوان منها يقتضي غضبة حقيقية من الأمة، لنصرة الأرض المباركة واستنقاذها من مخالب اليهود.

لكن ما الذي يحدث على الأرض؟!

لم تعد هذه الأخبار تلفت الانتباه أو تحرّك ساكناً في السياسات العربية.. ولم تعد هذه الأخبار على واجهة الإعلام العربي، بل لا في حاشية كثير من منابره!

ولم تعد قضية القدس حاضرة في مناهج التعليم والتربية، بل لم تعد - مع الأسف الشديد حاضرة في كثير من منابر الجمعة ومناهج الدعوة!

أما منظمة التعاون الإسلامي.. جامعة الدول العربية.. السلطة الفلسطينية.. الأنظمة والحكومات العربية والإسلامية.. رابطة العالم الإسلامي.. اللجان والصناديق الرسمية المخصصة لفلسطين.. فجميعها غائبة عن ذلك المشهد، تجتر عجزها وهوانها، صامتة لا تسمع لها ركزاً، وكأنَّ القضية لا تعنيها!



(١) القوة في السياسة الشرعية.. عَناصِرُها، ضَوابِطُها، مقاصدها، د. وصفي عاشور أبو زيد، ورقة مقدَّمةٌ إلى ندوة تطور العلوم الفقهية الثالثة عشر بسلطنة عُمَان الثالثة عشر، المنعقدة في مسقط ٦-٩ أبريل ٢٠١٤م بعنوان: "الفقه الإسلامي: المشترك الإنساني والمصالح".

الحاضر الرئيس في قلب الحدث: هم أولئك الأبطال والمرابطون في بيت المقدس وأكنافه، الثابتون في ظلال القدس وأروقة الأقصى ومصاطب العلم؛ فهؤلاء وحدهم من يواجه مشاريع التهويد والهدم والتطاول على المقدسات.

» إنَّ ثمة حقيقة لا ريب فيها، وهي أن هؤلاء المقادسة ابتلوا بخذلان وتثبيط كثير من إخوانهم، بل رأينا من يدفعهم دفعاً للاستسلام والرضوخ لليهود، بحجة الواقعية السياسية وتوجّهات المجتمع الدولي! وأرجو أن يكون لهم نصيب وافر من قول الله - تعالى (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ 371 فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

» كما أرجو أن يكون هؤلاء المرابطون من الطائفة المنصورة التي بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم: «على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك».

» وفي بعض روايات الحديث عندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين هم؟ قال: «في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس»[١]، وفي رواية أخرى: «يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها، وعلى أبواب بيت المقدس وما حولها»[٢].

ومن تأمَّل هذه الأحاديث يدرك أن ذلك الخذلان والإعراض لن يثني المرابطين عن ثباتهم واستبسالهم في الذبِّ عن حُرمة الأقصى، ففي بعض روايات الحديث: «لا يضرهم من خذلهم»[٣]، «لا يبالون من يخالفهم»[٤]، خاصة إذا استشعر هؤلاء المرابطون أن ثباتهم على أرضهم خير لهم من الدنيا وما فيها؛ فعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أيهما أفضل: أمسجد رسول الله أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه؛ ولنعم المصلى هو، وليوشكن أن يكون للرجل مثل شطن فرسه - يعني: حبل فرسه - من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس، خير له من الدنيا جميعاً». قال: أو قال: «خير من الدنيا وما فيها»[٥].

فإذا كانت المرابطة في أرض يرى منها بيت المقدس فيها هذا الأجر العظيم، فكيف يكون أجر المرابطة في بيت المقدس نفسه؟!



ولا يكفي هـا هنا أن نلوم الأنـظـمـة والـحـكـومـات على تفريطها وخذلانها، بل يجب أن نلوم أنفسنا، ونلوم العلماء والدعاة والخطباء والمؤسسات الإسلامية؛ فالوهن الـذي أصاب الأمة في كثير من مفاصلها أعاق كثيراً من مشاريع نُصرة الأقصى! إنَّ تغييب الوعي بقضية المسجد الأقـصـى أزمـة كبيرة يتحمَّل تبعاتها أطراف متعددة؛ لذا فإن إحياء وتجديد الاهتمام بها من الأولويات التي يجب أن توظف لها الطاقات، وتتنوّع فيها المشاريع، وتتآلف عليها الجهود المؤسسية والفردية.

ويحسن التأكيد ها هنا على ضرورة استثمار المشاعر الجياشة التي تعمر قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في إبداع مشاريع عملية حيوية وجامعة، تتنوَّع بتنوّع البيئات وتستقطب شتى الطاقات والإمكانات.

وتأملوا قول النبي صلى الله عليه وسلم عندما سئل: يا رسول الله! أفتنا في بيت المقدس؟ فقال: «ائتوه فصلوا فيه - وكانت البلاد إذ ذاك حرباً - فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج في قناديله»[٦].

إنَّ نصرة المسجد الأقصى ينبغي أن تكون مشروعاً للأمة بمجموعها، ومشروعاً شخصياً لكل مسلم، وحديثُ القناديل لم يترك عذراً لأحد ولو كان بشيء يسير كبعث زيت لإسراجها، وأحسب أن المقصود في إسراج قناديله: إحياء المسجد وتكريمه وعمارته والعناية به، والذبُّ عن حرمته، حتى لا يُهجر وينقطع عنه المصلون.



ولعل من أعظم قناديله التي ينبغي أن تسرج: المرابطون في أكنافه، وقراؤه، وعبَّاده، وحراسه، وعمَّار مصاطب العلم وحلقات تحفيظ القرآن؛ فهم النور الذي يتلألأ، وحقهم علينا: دعمهم، وتثبيتهم، وتعزيز صمودهم، ونصرتهم بكل ألوان النصرة، ودعم قضيتهم في كل أنحاء العالم.

فاللهم اجعلنا من أنصار الأقصى وعمَّاره.

---

[١] أخرجه: أحمد في مسنده رقم (٢٢٣٢٠)، والطبراني في الكبير (١٧١/٨) رقم (٧٦٤٣)، وذكره ابن الجوزي في فضائل القدس (ص ٩٣). وحديث الطائفة المنصورة له روايات كثيرة، عدّها جمع من أهل العلم متواترة، منهم ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (96/1)، والسيوطي في قطف الأزهار المتناثرة رقم (٨١)، والزبيدي في لقط اللآلئ المتناثرة (ص ٦٨).

[٢] أخرجه: أبو يعلى في مسنده رقم (٦٤١٧)، والطبراني في المعجم الأوسط رقم (٤٧).

[٣] أخرجه مسلم (١٥٢٣/٣) رقم (١٩٢١).

[٤] أخرجه سعيد بن منصور (١٧٨/٢) رقم (٢٣٧٦)، تحقيق الأعظمي.

[٥] أخرجه: الحاكم (٥٠٩/٤)، والطبراني في المعجم الأوسط (١٠٣/٧)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٤): رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٤/٦).

[٦] أخرجه: أبو داود رقم (٤٥٧)، وأحمد رقم (٢٧٦٢٦)، وابن ماجه رقم (١٤٠٧)، وأبو يعلى رقم (٧٠٨٨)، والطبراني في الأوسط رقم (5448). واختلف في هذا الحديث، فصحَّحه البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٥٠/١)، ومغلطاي في شرح ابن ماجه (١٩٨/٣)، وحسنه النووي في المجموع (٢٧٨/٨)، وصححه من المعاصرين: الأرناؤوط في تحقيق شرح مشكل الآثار رقم (٦١٠)، والوادعي في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (٢١٩/٢)، ومحقق مسند أبي يعلى. وأعلَّه ابن القطان في الوهم والإيهام (٥٣١/٥)، والذهبي في الميزان (٩٠/٢)، والألباني في ضعيف سنن أبي داود، والأرناؤوط في تحقيق المسند.



جهاديو مصر والإخفاق شعبياً

معتز زاهر

نشأ الفكر الجهادي في مصر متأثرًا بالانقلابات العسكرية الحادثة في المحيط الإقليمي أواسط القرن العشرين، ففي تلك الفترة حدث أول انقلاب عسكري في المنطقة على يد حسني الزعيم في سوريا عام ١٩٤٩ م، والذي سرعان ما انقلب عليه سامي الحناوي في نفس العام، وحدث أيضًا في مصر انقلاب يوليو ١٩٥٢ م على يد تنظيم الضباط الأحرار، ثم انقلاب العراق عام ١٩٥٨، ثم ما تلاها من انقلابات، والتي كانت لها أثر كبير على منهج التغيير لدى الجماعات الجهادية، حتى اعتقدتْ أن هذه هي الوسيلة الوحيدة للتغيير السياسي، والطريقة المتبعة فقط للتحكم في البلاد وإقامة النظام الإسلامي فيها [1].

لم تستوعب التيارات الجهادية أن الانقلابات العسكرية في هذا الوقت كانت ضمن واقع عالمي جديد تُستبدل فيه الولايات المتحدة الأمريكية ببريطانيا كقوة عظمى جديدة، كانت خريطة موازين القوى تتغير، ودأبت أمريكا على كسب ولاء بلاد كثيرة بدعم الانقلابيين فيها، مع سحب البساط في نفس الوقت من بريطانيا ومستعمراتها المتهالكة. فلم تكن الانقلابات نابعة من الشعوب ومعبرة عن إرادتها حتى تتبناها الجماعات كمنهج تغييري؛ بل كانت مفروضة كقيادة على الشعوب ضمن إطار من التفاهم على مجموعة من المصالح مع سيد العالم الجديد.

"ركزت التيارات الجهادية جهودها على تجنيد أفراد الجماعات الإسلامية الأخرى لإقناعهم بطريقة التغيير الأسرع والأفضل عن طريق الانقلاب العسكري، فعملوا على توجيه الطلاب المتدينين لدخول الكليات العسكرية، وكذا توجيه الأعضاء من طلبة الجامعات للتحول إلى الكليات العسكرية، بنية اختراق الجيش بعد ذلك، وكانوا يختلطون بالمتدينين في حلقات العلم بالمساجد التي يلقيها مشايخ من جمعية أنصار السنة أو الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة، أو غيرهم؛ لإقناعهم بهذا الأمر، ومن ثم تدريبهم على استخدام السلاح والرياضات القتالية [٢]. "

وكانت أبرز المساعي بهذا الصدد، اجتماع أقيم في محافظة بني سويف عام ١٩٨٠ تقريباً، وكان غرض الاجتماع أن يعرض القيادي بتنظيم الجهاد محمد عبدالسلام فرج تصوره لإقامة الدولة الإسلامية عبر الانقلاب العسكرى؛ ليطلب من الحاضرين تأييد هذا التصور ودعمه بالمال والرجال، وقد دعي إلى هذا الاجتماع قادة من السلفيين؛ كمحمد مصطفى الدبيسي ومحمد إسماعيل المقدم وغيرهم، كما دعا بعض قيادات جماعة الإخوان فحضر بعضهم، كما حضر عدد من قيادات التيار الجهادي على رأسهم الدكتور عمر عبد الرحمن، ورفض بعض الحاضرين ما طرحه محمد عبدالسلام وكان على رأس الرافضين قادة الإخوان المسلمين، كما تريث بعض السلفيين وطلبوا فتوى مباشرة من عدد من العلماء بالموافقة على هذا التصور كالشيخ محمد ناصر الدين الألباني والشيخ عبد العزيز بن باز [٣] .

وبذلك لم تضع الجماعات الجهادية الشعب ضمن حساباتها عندما تبنت الطريقة الانقلابية، وكانت علاقتها الوحيدة بمحيطها الشعبي هي محاولة تجنيد بعض الأفراد لتأهيلهم عسكرياً للقيام معها بانقلاب عسكري، بالطبع أدركت الجماعات متأخرةً أمام حقائق الواقع القاسية أن الأمور أكثر تعقيدًا من تدريب مجموعة من الأفراد عسكريًّا حتى يسيطروا على الجيش ومؤسسات الدولة ومن ثم البلاد، ثم في المرحلة الأخيرة يفرضون الحكم بالشريعة الإسلامية.

---

(١) يقول فؤاد محمود أحمد حنفي أحد المتهمين في قضية الجهاد: "إننا جماعة تدعو لشمولية الإسلام والجهاد المسلح لإحداث انقلاب باستخدام القوة"، كتاب: كلمة حق مرافعة الشيخ عمر عبدالرحمن في قضية الجهاد، موقع منبر التوحيد والجهاد.

(٢) ينظر: عبد المنعم منيب، دليل الحركات الإسلامية، ص٧٧، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠١٠، القاهرة.

(٣) المصدر السابق، ص٩٣.



"فمن البداية إذن، لم يكن الشعب المصري في حسابات التيار الجهادي، بل كان تياراً "نخبوياً"، يعمل فقط على تجنيد الإسلاميين ولا يعير اهتماماً لبقية المجتمع، مما جعله دوماً تياراً غير متجدد الدماء.. يُقضى عليه ويُمحى أثره بمجرد تحييد أعضائه سواء بالقتل أو الاعتقال، وقد نزل بالتيارات الجهادية ما تنبأ به القيادي الجهادي أبو مصعب السوري حين قال: "من يكسب الشعب يكسب المعركة في عالم العصابات؛ لأنه إذا انعزل المجاهدون أو العصابات عن الناس ولم يقتنع الناس بقضيتهم، فمهما كان عدد رجال العصابات، فلن يحصل شيء لأنهم سينتهون، كل يوم يُقتَل خمسة كل يوم عشرة وهكذا حتى تنتهي العصابات. عليك أن تقنع أنت الناس أنك استخدمت العنف لمبررات شرعيّة إذا كان الناس مسلمين، أو لمبررات عقليّة أو وطنية أو مادية أو مصلحية إذا كان الوضع غير إسلامي. وأن يشعر الناس والشعب أنك أنت تدافع عنهم وتقاتل بالنيابة عنهم" [٤] . "

ومع تسارُع الأحداث واشتداد وطأة الأمن وظروف أخرى، أرغمت الجماعات الجهادية على الدخول في مرحلة جديدة، وتخلت تحت ضغط الواقع عن تصور قيامها بانقلاب عسكري وحكمها للبلاد، فتحولت إلى مرحلة أخرى رمادية لم تكن تدري ملامحها ولا المطلوب منها كجماعة إسلامية يُنتظر منها حشد الناس حول الدعوة الإسلامية وغرس عقيدتها في قلوبهم حتى يشكلوا مدد الحركة الذي لا ينقطع، بل دخلت بدلاً من ذلك في صراع انتقامي بحت مع الحكومات القائمة، ليس بنية السيطرة على البلاد وفق خطة ما، بقدر ما هو محض قتال للنظام كرد فعل على استهدافه لعناصرها بالتصفية الميدانية والاعتقال والتعذيب.

تلك المرحلة جعلت صورة التيارات الجهادية شعبياً في ثوب "المتشاجر" مع النظام لا أكثر، مجموعة من الأفراد يتقاتلون مع النظام لأجل ثارات ودم مُراق، مثلها مثل أي عائلة فيما مضى في صعيد مصر على سبيل المثال تقاتل الشرطة للثأر لأحد أفرادها، فلم تبدوا كمنظمة سياسية وحركة إسلامية لها أهدافها وبرامجها وتسعى لتغيير البلاد نحو الأفضل وبالتالي ينضم الناس لهم.

وكنتيجة طبيعية لم تحظ التيارات الجهادية بتعاطف شعبي واسع خلال معركة تفتيت العظام التي شنها عليها النظام المصري، بل ولم تحصل على دعم التيارات الإسلامية الأخرى، التي شعرت حينها أن عليها أن تحافظ على مسافة بينها وبين التيارات الجهادية حتى لا تصيبها الحرب عليها بنارها بصفتها من الجماعات الإسلامية مثلها، بل وحرصت كذلك على استنكار العمليات التي تقوم بها التيارات الجهادية لتتمايز عنها، منشغلة بدوامة الديمقراطية وحلم كراسي البرلمان.

أما الجماعات الجهادية التي نشأت بعد انقلاب ٢٠١٣م، فهي لم تتحول من هدف السيطرة على البلاد إلى قتال النظام بدافع الانتقام كما حدث مع الجماعات القديمة، لأنها نشأت في الأصل بهدف الثأر والقصاص من قوات الجيش والشرطة لما ارتكبته من قتل وتعذيب واعتقال، وقضى الأمن المصري على هذه الجماعات سريعاً بصورة كبيرة لمحدودية مواردها البشرية نتيجة كونها جماعات نخبوية متخصصة لا تسعى إلى إيجاد حركة شعبية دعوية جهادية، وإنما تجند من تراه فعالاً ومتجاوباً في صفوف الحركة الإسلامية فقط.

ومن هذه النظرة السريعة يتجلى أن التغيير بالقوة وحدها لا يؤدي إلا إلى الفشل، وأن العجلة في الانخراط في مواجهة دون ظهير شعبي يحمل الفكرة الثورية ويتبناها سيؤدي إلى انكماش الحركة وشللها، وأن التخطيط والإدارة الاستراتيجية مهم لأي حركة أو منظمة تسعى إلى تحقيق أهدافها، فبدون ذلك تنحصر في دائرة رد الفعل وسرعان ما يقضي عليها خصومها. ❝

(٤) دروس في نظرية حرب العصابات، تفريغ منشور على الشبكة لمحاضرتين في جلال آباد ١٩٨٩ م.

klmtuhaq



العدد الحادي عشر ، يونيه ٢٠١٨ | كلمة حق

www.klmtuhaq.blog

المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
معتز زاهر